السنة العاشرة   العدد ١٣   ١ تموز   سنة ١٩٠٧

المشرق

عجائب بلاد مؤاب

وفقًا لما كتبهُ آخرًا الاب الدكتور موسيل (١)

نظر للاب هنري لامنس مدرّس الجغرافية الشرقيّة في المكتب الشرقي

بشّرنا قرّاءنا منذ عهد قريب (ص ٢٨٢) بخارطة بديعة رسم فيها الدكتور لويس موسيل البلاد الواقعة بين الاردن وبحيرة لوط وبحر القلزم ومصر. وما كان هذا الاثر الّا توطئة لكتاب موسّع سرّنا صدور القسم الاوّل منهُ اليوم وقد ضمّنهُ المؤلف البارع رحلتهُ الى مؤاب مع وصف الامكنة التي تجوّل فيها قبل سنين قليلة فعرّف حزونها وبطونها وجبالها واوديتها وعيونها ومجاري مياهها ومعادنها وخصب تربتها وطرق مواصلاتها. فجمع في ٢٥ صفحة ادقّ المعلومات عن تلك الجهات التي تكرّر ذكرها في الاسفار المقدّسة بحيث يستطيع العلماء بعد مراجعة هذا النظر الاجمالي ان يقفوا على حقيقة الواقع ويقدّروا الامور قدرها

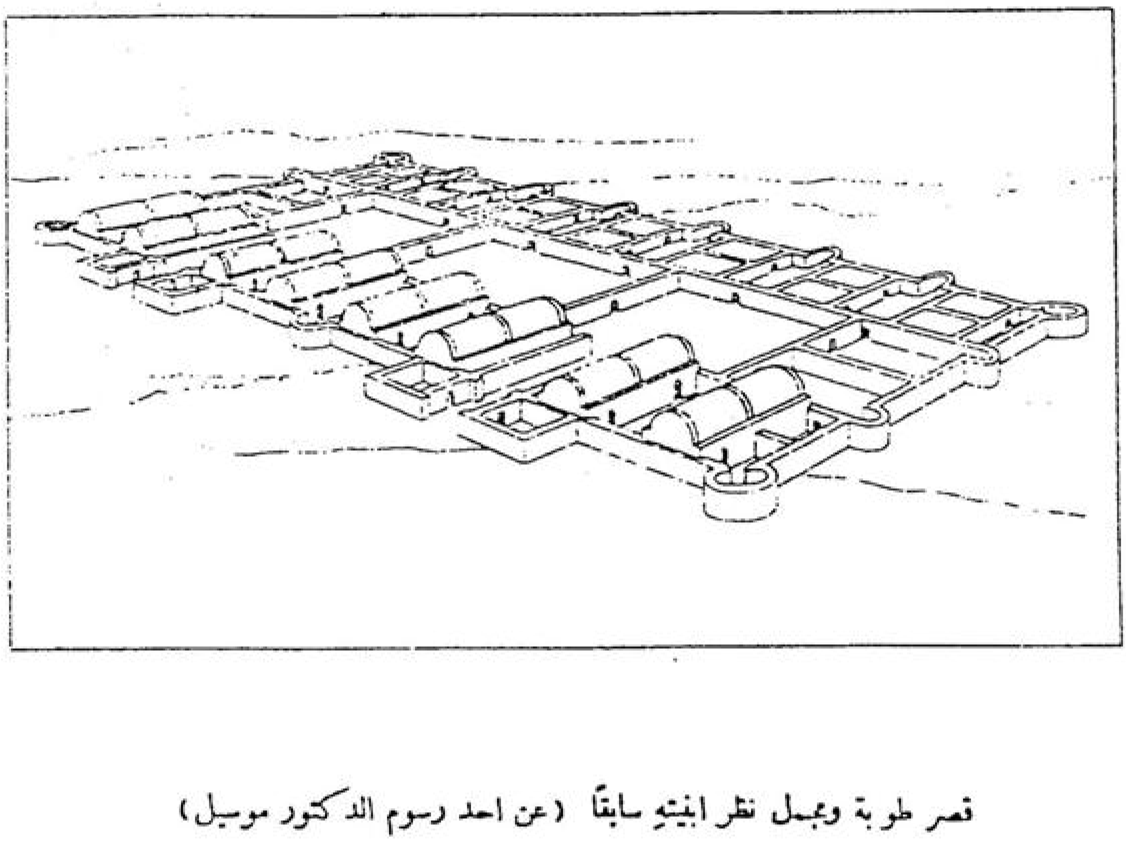
وبعد هذه المقدّمة تخطّى المؤلف الى ذكر السياحات المتعدّدة التي تولّاها بنفسهِ منذ السنة ١٨٩٦ الى السنة ١٩٠٢ تباعًا عامًا بعد عام لم ينقطع عن رحلةٍ الّا السنة ١٨٩٩ وقد طاف مدّة اسفارهِ في تلك الاقطار فقطعها من كلّ وجوهها حتى انّنا لو اردنا أن نتعقّب آثارهُ بالتفصيل لعجزنا عن ذلك. فانّ الكاتب الفاضل يذكر رحلةً متواصلة بكلام وجيز مدقّق غاية في الضبط كلّهُ معانٍ واوصاف مجرّدة عن كل حشو ولغط. ومع هذا لا تكاد تجد شيئًا من المعلومات قد فاتهُ من تعريف الاراضي وبيان الآثار القديمة ووصف اخلاق السكّان وغير ذلك ممّا يجيي في اعين القرّاء احوال تلك الاصقاع

(١) Moab : Topographischer Reisebericht ; XXIII — 443 pp.

في كل اطوارها من مآثر كتابيَّة في عهد بني اسرائيل او آثار نصرانيَّة في القرون الاولى للميلاد او ابنية رومانيَّة وبزنطيَّة وعربيَّة

ومما ابقاهُ الطور العربي قصور عجيبة تراها منتصبةً في قلب البادية توفَّق المؤلف الى اكتشافها (اطلب المشرق ١ : ٦٣٢) كقصر الطوبة (انظر الصورة) والحرَّاني وبالاخص قُصَير عمرا الغريب البناء المزدان بتلك النقوش الزهيَّة والتصاوير العجيبة التي افاض الكتبة في بيان اصلها وغايتها فكثر بينهم القال والقيل دون أن يقرُّوا حتى الآن على رأي ثابت كما لم يتَّفقوا على تعريف قصر المشتَّى واصلهِ وبُناتهِ . وموقع قُصَير عمرا على خطّ قصر المشتى يبعد عنهُ ٧٠ كيلو متراً من جهة الشرق وهو في اواسط بادية قفرة

ومن يوجه نظرهُ الى هذين القصرين اي المشتَّى وقُصَير عمرا يخطر على خلدهِ اصل فنّ البناء عند العرب . فان هذه الآثار قد عزاها البعض الى بني اميَّة لكنَّ غيرهم لا يوافقونهم في رأيهم ويرتأون انَّ قصر المشتَّى ليس هو لهم . والاجدر بهؤلاء ان يراجعوا



قصر طوبة ومجمل نظر ابنيتهِ سابقاً (عن احد رسوم الدكتور موسيل)

في كتاب الدكتور موسيل ما كتبهُ ليعارض بين ابنية المشتى وابنية قصر الطوبة وهو قصر طوبة ينسبونهُ غالباً الى الوليد الثاني. فانَّ بين الاثرين تشابهاً عظيماً في رسمهما وخواصّ بنائهما (اطلب كتابهُ ص ٢٠٠ الى ٢٠٤). وهذه المقايسة على ما نظنّ تزيد رجحان مذهب القائلين بانَّ المشتى من بناء الامويين

وما قيل عن قصر المشتى نقولهُ عن قصير عمرا الذي احسن الدكتور موسيل وصفهُ في هذا الكتاب فان بُناة هذا الازج عربٌ بلا مراء. ونرتاي فوق ذلك انَّهُ لبني اميَّة ويسوقنا الى هذا القول انَّ الخلفاء الامويين اعتادوا ان يقضوا قسماً من سنتهم لاسيا الربيع في البادية (١ (الاغاني ٢: ١٠٨) فكان يزيد بن معاوية يتبدَّى في بادية تدمر (٢ وعبد الملك بن مروان في جابية الجولان. وكذلك ذكر الكتبة «بادية» الوليد وسليمان اخيهِ (اغاني ٤: ٦١ و٨: ١٨٣). ويظهر من نصوص هؤلاء الكتبة أنها كانت عادةً ألفها بنو اميَّة فينتقلون الى البريَّة كما يفعل اهل بيروت في فصل القيظ فيصطافون في الجبل. قال الطبريّ في تاريخهِ (٢: ١٧٨٣ مع مراجعة ص ١٧٩٣) ومثلهُ ابو الفرج الاصبهاني (الاغاني ٦: ١١٣): «خرج يزيد بن عبد الملك الى القرين مبتدئاً (والصواب متبدّياً) بهِ وكان هناك قصر لسعيد بن الخالد» وسعيد بن الخالد احد بني اميَّة فكان ابتنى لهُ قصراً في البادية على مثال الامراء الامويين

وفي بعض نصوص كتاب الاغاني (٤: ٦١) انَّ سليمان كان اذا نزل البادية لا يسكن تحت الخيام بل في منزل مشيَّد. وكذلك وجد الدكتور موسيل آثار قصر بائر الذي كان يسكنهُ الوليد الثاني ابن يزيد وقد دعم حضرتهُ قولهُ باسانيد شتى لا تُبقي في صحّتهِ ريباً. وورد في الاغاني (٦: ١٣٦) انَّ الوليد بن يزيد كان مقيماً في البادية «على بناء كان ابتناهُ في معسكرهِ يُشرف عليهِ». فترى من هذه النصوص وغيرها انَّ بلاد مؤاب كانت مشحونةً بقصور يحلّها بنو اميَّة في ايَّام الربيع (الاغاني ٦: ١١٣).

فكل هذه الشواهد تحدو بنا الى القول بان قصير عمرا كان ايضاً من منازل بني اميَّة في ايَّام الربيع ولعلّ مشيّدهُ هو الوليد الاوَّل ابن عبد الملك ويزيد ظنَّنا انَّ الوليد.

---

١) راجع الاغاني (٦: ١١٢) في اسفل الصفحة

٢) اطلب في المشرق ذكر قصرهِ في حوّارين (٩: ٥٦)

كان مولعاً بالبناء محبًا للفنون الجميلة . وكذلك وُجد في هذا القصر كتابات ونقوش تشير الى فتح الاندلس ومعلوم انَّ هذا الحادث من اعظم مفاخر الوليد قد اورثهُ مجداً اثيلًا . ولو لم يُفدنا الدكتور موسيل من رحلتهِ غير هذه الافادة لنال بها شكرًا حميمًا

وليس هذا فضلهُ الوحيد . فانهُ قد دوَّن جدولًا مطوَّلًا لعدَّة أعلام امكنة ورد ذكرها في الاسفار المنزلة ويرمز الى مواقعها اليوم . وان كان العلماء لا يوافقونهُ في كل المطابقات التي يشير اليها لا ريب انهم يعيرونها بالًا ويستندون اليها لترقي الجغرافيَّة الكتابيَّة . وهذا القول في الاعلام اليونانيَّة اخصُّ منهُ في غيرها من الاسماء فمفسّرو الكتاب المقدَّس ومخطّطو الامكنة القديمة لا يمكنهم منذ الآن ان يضربوا الصفح عن النتائج التي احاط بها علم الدكتور موسيل

وقبل الختام ها نحن نعرض على المؤلف بعض ملحوظات تبادرت الى ذهننا في اثناء مطالعة كتابهِ . قد ضبط حضرتهُ اسم مدينة أذرُح بضم الهمزة والصواب فتحها . وممَّا عرضهُ على العلماء (ص ٥٦—٥٧) ان مآب القديمة هي محلَّة اللجّون والمرجَّح عندي احد القولين امَّا ان تجعل مآب في مقام الربَّة وهو رأي ابي الفداء . وامَّا في موقع الكرك وهو قول خليل الظاهري . وخلاصة الكلام انَّ موقع مآب القديمة لم يزل مجهولًا — وقد اصلح الدكتور موسيل رواية مغلوطة لاسم «ابابن» فاجاد بقولهِ انَّ النون وضعت غلطاً بدلًا من الراء لكنَّهُ وَهِمَ بحذف الهمزة فكتب «باير» والصواب «اباير» كما ترى في بيت ابن ميَّادة (اغاني ٣ : ١٠٨)

لعمرك اني نازل بابابن (بابابر) لصوَّارَ مشتاقٌ وان كنت مكرما

وهنا للدكتور موسيل شاهد آخر عن الاغاني (١ : ١٤٣) لكنّي لم اجد النصَّ في مكانهِ . هذا ما عنَّ لي في خلال مراجعتي لهذا الكتاب النفيس الذي نحضُّ المستشرقين وطلبة الكتاب المقدَّس على درسهِ . ويجدون ما خلا هذه الفوائد ما يزيدهم رغبةً فيهِ كحسن طبعهِ واحكام صنعهِ مع ما يزينهُ من التصاوير البالغ عددها المتين بينها مناظر الامكنة وصور الآثار ورسوم هندسيَّة وكذلك قد أُلحق بجداول متقنة مستوفية

وخلاصة الكلام انَّنا كنَّا عهدنا بالدكتور موسيل رحَّالةً نشيطاً مقداماً ورسَّاماً بارعاً وصاحب نظر ومراقبة . والكتاب الذي اتحفنا بهِ زادنا اعتباراً لشخصهِ الكريم اذ تحقَّقنا انهُ يحسن تنظيم ما جمعهُ من المواد وما رصدهُ من الامكنة النازحة فاتانا بتأليف

من شأنهِ ان يقدّم الابحاث الفلسطينيّة تقدّماً يُذكر فيُشكر . فانهُ هو الذي اطلعنا على عجائب مؤاب وما كان فيها من القصور والابنية الغريبة . وقد استحقَّ بذلك ان يُنظَم في سلك بعض المسافرين الشهيرين كالرحّالة سِتْسن (Seetzen) . وسنعود ان شاء الله الى ذكر قصير عمرا الذي خصَّ بهِ الدكتور موسيل مجلداً منفرداً شحنهُ بالملحوظات الجديرة بالاعتبار . لكنّنا هذه المرّة اكتفينا باستلفات انظار القرّاء الى امرٍ خطيرٍ اعني القصور التي ابتناها الاميّون في البادية . فانَّ ذكرها يفسّر نصوصاً متعدّدة وردت في كتاب الاغاني ويعرّف احوال العرب في قرنهم الاوّل للهجرة . فنكرّر تهانينا لحضرة المؤلف ونشكر مكتب ڤينة العلميّ الذي اخذ عليهِ نشر هذه الآثار الجليلة

رحلة ابرهيم الحكيم الحلبي الى مصر

عني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

وقد غدت رسالتكم لاسقام قلبي شافية . ولاغتمام كربي نافية . ولاضطرام لبّي طافية . ولدوام الحبّ والوداد كافية . فاستنشقتُ من عبير عطرها ما اربى على الطيوب عرفًا . وارتشفت من غدير نشرها ما روَّى ظمأ القلوب رشفًا . واغتنمت من اكسير تبرها ما يملأ الجيوب والأكُفّا . وامتدحت منشئ عبير نشرها على هذا الاسلوب وصفا :

بحر الفصاحة والمقال الفلسفي ... بدر الملاحة والجمال اليوسفي
رب الظرافة واللطافة والبها ... أطروفة الدهر التليد الطارفِ
يا ايها المولى الجليل القدر وال ... عالي المقام وذا الحياة الاشرفِ
يا احسن الخَلْق الرضيّ الخُلق وال ... حسن السجايا بالقضاء المنصفِ
قد كنت اجهل ما ملكت من الرضى ... ومكارم الاخلاق والقلب الصفي
حتى بدا لي منك فعلٌ لم أرا ... هُ قط الّا في العزيز اليوسفي
فلذاك اشكر فضلكم وجليل تلك ... م النعمة الحسنى التي لم تختفِ
بك لا برحتَ مواظب الصفح الذي ... عنهُ تنال الصفح يوم الموقفِ

وقد حمدناه تعالى على صحة سلامتكم التي هي غاية المراد والمطلوب . وبغية القصد والمرغوب . وقد فرحنا الفرح الشديد . والسرور الزائد الاكيد . الذي ما عليهِ من مزيد . الأهنأ من ليالي العيد . لاسيما عند ما شاهدت رقة خطابكم وعذوبة عتابكم الذي

ارقّ واشهى من الرُضاب. والذّ واحلى من الجُلّاب. وقد اندهلت من حسن شيمكم وطباعكم. وانشغفت من فرط سلمكم ورضى اخلاقكم . . . فلذلك ارجى فضل المولى ان يقبل اعتذار عبدهِ. ويصفح عمَّا تجاوز من طور حدهِ. وان يبقى على العهد الذي يعهده. متمسكاً بزمام الودّ كما عوَّده. لاني بعد ما فرط مني ما فرط. من ذلك الغلط وارتكاب الشطط والوقوع في اشأم الورط. انتبهت من السكرة. ووقعت في الندامة والفكرة. ووعيت ما اقتحمت بهِ على جنابكم. وما تجرأت بتدوينه في كتابكم. واندفعت الى الاسف والسدم. وندمت حيث لا ينفع الندم. وقد اشتغل البال واشتمل البلبال. وحصلتُ في امرّ حالٍ وشرّ اهوال. غير اني شمرت عن ساعد العزم. وانتضيت حسام الحزم والفهم. وقد كنَّا يومئذٍ في مكان يسمَّى الجيزة. ونظمت هذه الارجوزة الوجيزة. وارسلتها عاجلاً في اثر ذاك الكتاب. لتعتذر عنهُ وترد الجواب. وقد اجتهدت ان تصل الى البلد. في يوم عيد الجسد:

عيدٌ سعيدٌ عمَّكم بالخيرِ فيهِ خصّكم بدفع الضيرِ
وكلّ عام تبلغون بهِ المنى وانتم في بكلّ حظٍ وهنا
الى جناب عاليَ الجنابِ ذي المجد والاجلال والآدابِ
اعني بهِ الشمَّاس عبد اللهِ (١ من قد رقي العليا بلا تناهي
السيد الندب البديع اللوذعي والالمعي المفضال ثم الاروعي
من بعد تبليغ السلام السامي بالعزّ والتبجيل والاكرامِ
اهديكمُ تحيَّتي المتاطرة ألذ من عرف الرياض الزاهره
مع بث اشواق القلوب الوافره تلك التي عن الصميم صادره
يحملها ريح الصحارى والصبا الى حما تلك الرياض والرُّبى
اخصها بمن رقي فوق السها قدراً وفاق الشمس حسناً وبها
اعني بهِ الفرد العزيز الدهرِ والسيد الندب الجليل القدرِ
فخر الورى وسيد الاقرانِ انسان عين الدهر والزمانِ
من قد رماني الدهر عن ديارهِ لسوء حظي نُزِحتُ عن جوارهِ
ولم أعدْ أخطرْ لهُ في بالِ وشحَّ في الاخبار والتسآلِ
وما درى انهُ في ذا المطالِ اوقعني في اختلاطِ العقلِ

١) لا نعلم من هو الشماس عبد الله هذا ولعلَّهُ الشماس عبد الله زاخر الشهير بتآليفهِ ودفاعهِ عن الايمان الكاثوليكي لكنْ هذا الكاتب توفي سنة ١٧٤٨ (اطلب تاريخ الروم الملكيين ص ٤٧) وفي هذه الرسالة ما يشير الى امور جرت سنة ١٧٥٣. والله اعلم

وزجّني في وحدة الاياسِ · وكثرة الافكار والوسواسِ
وطالما رحت بملٍ وعنى اقلّب القلب على نار الاسى
حتى فني من كثرة انتظاري الى الجواب معظم اصطباري
وقد تورّطت بجانبك الورطْ وزجني جهلي لذياك الغلطْ
ونهت في تسطير ذا العتابِ وما بهِ من سفه الخطابِ
وقد حصلت بعد هذا في ندمْ حتى ندمت حيث لا ينفع ندمْ
وانما القول الذي مني صدرْ ما كان الّا من تضايق الفكرْ
لذاك ارجو ان تسامح المسي واقبلن عذري بدون ضجسِ
بل غض طرف الطرف عمّا قد فرطْ مني وعدّهُ كسهو وغلطْ
لا تتركوا بهجركم ذا العاني يذوب شوقاً لاجتنا المعاني
هلّا دريتم انكم في القلبِ ولو نأيت داركم عن غصبِ
فلم يزل مرآكُم في العينِ في كلّ وقتٍ حاضرٍ مع حينِ
لا زلتمُ اهل السماح السامي والعفو والافضال والاكرامِ
بل دمتمُ طول المدى والدهرِ ناجين من حمل العنا والضيرِ
بحرمة العيدِ السعيد الاقدسِ عيد الغذا الروحي وقوت الانفسِ
داعيكم المحب ابراهيمُ الحلبي سبته الحكيمُ

فنسأله تعالى بان تكون وصلتكم مثلما قصدنا · وتمّ فيها غرضنا · وتكون حصلت في حيز القبول · وتمّ بها القصد والمأمول · بجاه مريم البتول · ومار بطرس الرسول

☆

ثم حضرتكم قد كنتم سألتموني في بعض كتبكم بان اعرفكم عن حالنا · وكيفية احوالنا وارتحالنا وكيف مجالنا · فاني ابدي لجنابكم بوجه الاختصار · ما عانيناه بهذه الاسفار · من المشقة والاندعار في السهول والاوعار والنجد والاغوار والبوادي والقفار · لاسيما الخوض في الابحار وما فيهِ من الاخطار والمخاوف والاضرار · وذلك لننجو من القوم الاشرار · لأننا لمّا تحقّقنا ان ايدي الأوغاد قد استولت على الطريف والتلاد · علمنا ان ما عاد لنا اليها معاد · ولا بها زاد ولا مزاد · فعزمنا على ترك الاهل والاولاد · والاوطان والبلاد · وقلنا هيهات المعاد الى يوم المعاد · فبعد تقلّب الافكار ليلًا ونهار وكثرة الاوطار وظهور الاسرار · وقع الاختيار على نزول الابحار والمضي الى القاهرة وتلك الديار · فنزلنا اليهِ يوم خميس الاسرار · وكان نهار يُعدّ من الاعمار للنجاة من

اضرار فيليمون الغدار (١. لانهُ لم يعطِ القرار في طلبي ليلاً ونهار. وقد اخفاني في دار احرج من اوكار الفار. وهربت سحراً ونزلت الى القايق. من غير عائق. وكان يوماً فائقاً ونسيمهُ شائقاً. وغمامه رائقاً وصحوهُ صادقاً ورعيهُ موافقاً. وقد سرنا ذلك اليوم بمل سرور وهناء. من غير مشقَّة وعناء حتى قلت فيهِ من غير ونا :

يقولون ان البحر ساءت مصائبهْ وقد كثرت آفاتهُ ومعاطبهْ
واني رأيت البرَّ اقوى شدائدًا واعظم اهوالاً وتفني متاعبهْ
حزونٌ واوعارٌ تزولُ ثم ارتقا وسَيلٌ وحطٌّ ثم قومٌ تناهبهْ
وفي البحر راحاتٌ كأنَّ الفتى بها ينام على مهدٍ تساوت مناكبهْ
تسير بهِ الركبان من فوق سُفْنهِ كأنَّ على سطحٍ تعالت جوانبهْ
تهبُّ عليهِ الريح في طيب سيرها ويا حبذا سيرًا تطيب مذاهبهْ
ترى سفنه من فوق صهوات ظهره كأن قصورًا زيَّنتها حبائبهْ
وتحكي قلاعاً طائرات مع الهوا يلاعبها ريح الصبا وتلاعبهْ
تمرُّ كمرِّ الطير من غير غفوةٍ وتجري كسهم جاد بالحزم ضاربهْ
فكم سائرٍ فيهِ ينام بساحلٍ ويصحو على الشط الذي هو طالبهْ
يبيتُ ويجري سائرًا غير عالمٍ ولم يدرِ الَّا طالبتهُ قواربهْ
وكم تاجرٍ فيهِ رأى بعد فاقةٍ جزيل الغنى لمَّا اتتهُ مكاسبهْ
وكم سائرٍ فيهِ يلاقي مع المدى عجيب امورٍ حين تبدو غرائبهْ
عليك بهِ يا صاحِ من دون خشيةٍ ترى ما أحيلاه واهنى مشاربهْ
ولا تعطِ اذناً للمعيب بلومهِ فجلَّ الذي لم يبدُ منهُ معايبهْ

وقد كنت آليت على نفسي بالَّا اسلكه كل ايَّام حياتي فندمت في ظني. على ما فرط مني. لمَّا رأيت منهُ حسن السير. وعدم المشقة والضير. وبقينا على هذا المرسى الى ان امسى المساء . واقبلت الليلة الدمساء. واذا بالجوّ قد تعكَّر وبرد. وابرق وارعد. والبحر ارغد وازبد وتعلَّى وتمدَّد. واضطرب وهاج . وتزاحمت فيهِ الامواج . وعجَّ ولكن ايَّ عجاج. وتهاطلت الامطار كالمدرار: وتزوبع الريح وثار من سائر الاقطار. حتى عدمنا القرار وتقاربت منَّا الاعمار وتحيَّرت الافكار. وتزايدت الاحزان والاكدار وتقطعت العزائم والاوتار. وعاد كلٌّ كالمحتار لكثرة الخوف والانذعار. فقضيناها ليلة نابغية باحزان يعقوبيَّة. واحتمالات ايوبيَّة. الى ان طلع الصباح واضاء بنوره ولاح. ليعرفنا اي ارض شارفنا من البطاح. فأخبرنا بما ينفي الافراح ويزيد الاتراح . حتى عدنا

١) راجع ما قلنا في مقدَّمة هذه الرسالة

كالاشباح العادمة الارواح. لاننا بعد ما كنّا نعنا طرطوس . رجعنا الى ما هو فوق ترسوس . وبعد ان كنا شارفنا جبال لبنان . رجعنا الى مقابل جبال قرمان . ولو لم يلق النوتي القلاع وينزل الشراع . لشردنا الى غير بقاع وضعنا شرّ الضياع . وبقينا على هذه الحال يومين وثلث ليال . معدومين الحال متقطعين الرجاء والآمال . لا نفرق اليمين من الشمال من شدّة الاهوال . وكثرة الاضطراب والتقلقل والانتقال وفرط الادبار والاقبال . الى ان قام الرب المجيد . ضحية يوم العيد . وانتهر البحر فسكّت امواجه . وهدأ انزعاجه . وسرنا في ريح موآتية . الى ان رجعنا الى اللاذقيّة . بعد خمسة ايام نهاريّة وليليّة . وقد صرنا بعد ذلك في هدوّ وثبوت . الى ان وصلنا بيروت

وقد استقمنا بها ثمانية ايام منتظرين الريح المناسب . بالمسير الواجب . وقد انتهزنا بها فرصة الزيارة . لتلك الكنائس والديارة . وعملنا عيد القديس جاورجيوس . في دير الجديد مع المطران مكسيموس (١ . والاب الخوري اغناتيوس . مع زمرة من الآباء الكرام . ذوي الفضل والاحترام . وقد تملأنا من حسن تلك الاماكن . وزخرفة المساكن وفضل من فيهم ساكن . ورأيناها بقعة . لم يوجد مثلها وقعة . على وجه الارض . في طولها والعرض . لانها مشتملة على جبال ووديان . وطلال ووهدان ودغول وقيعان . ومروج وغدران ومراتع المها والغزلان . وحدائق . وجواسق . وغياض ومناهل وحياض . ومياه تجري على الرضراض . ومداخل واشجار . وفواكه واثمار . وخمائل وازهار وجداول وانهار . ومجاري ومنابع وسواقي ومصانع . ومسارح ومراتع ومعابد وصوامع . ومساجد ومدارس وقلالي ومجالس . وادبرة وكنائس وقلانس وبرانس . وراهب وعابد وناسك وزاهد . وسائح وراكد وجاثٍ وساجد . ومجدّ ومجاهد . وفاضل وماجد . وشاكر وحامد ومرتل وناشد . وضارب ناقوس . وحافظ رتب وطقوس . ومكمل فرض وناموس . وشماس وقسوس . ورئيس ومرؤوس . كأنهم ملائكة القدوس . وقد ادهشوا منا الابصار . وحيّروا الافكار . بما هم عليه من الاصوام والاسهار . وصلوات الليل والنهار . في تلك القفار والسهول والاوعار :

ما بين هاتيك البلاقع بيَعٌ وادبرة موانعُ

---

١) لعلّهُ يريد نسيبهُ مكسيموس حكيم مطران حلب وهو يومئذٍ في بيروت مبتعدًا عن كرسيهِ لاضطهاد فيليمون

ومساجدٌ ومعابدٌ ومناسكٌ فيها صوامع
فاقت على بيَع البلادِ وكلّ صومعةٍ وجامع
حتى على رُوما التي غلا مدائحها المسامع
بملاحةٍ وظرافةٍ وبحسن وضع مع صنائع
وكذاك اهلوها سموا بالفضل في كل المواضع
بطهارةٍ وبرارةٍ وجليل اتقان الشرائع
كم علَّموا كم حكَّموا سوء العقول مع الطبائع
كم هذَّبوا كم ادَّبوا من كان مهذارًا منازع
كم من عذوبة وعظهم يرتدُّ عاصٍ وهو طائع
كم خلَّصوا من بحر اثمٍ غارقًا فانكفَّ راجع
فلهُ درُّ مشايخٍ فيهم وكهلٍ ثم يافع
ما فيهم الّا تقيُّ القلب للشهوات قاطع
ما فيهم الّا وضيع الروح للرحمان خاضع
فهمُ همُ اهل الكمال وفضلهم في الكون شائع
وهم القطوب بلا عيوب هم او مصابيح لوامع
وهم الكواكب والشموس ونورهم في الكون ساطع (لها بقية)

الصرصر في لبنان

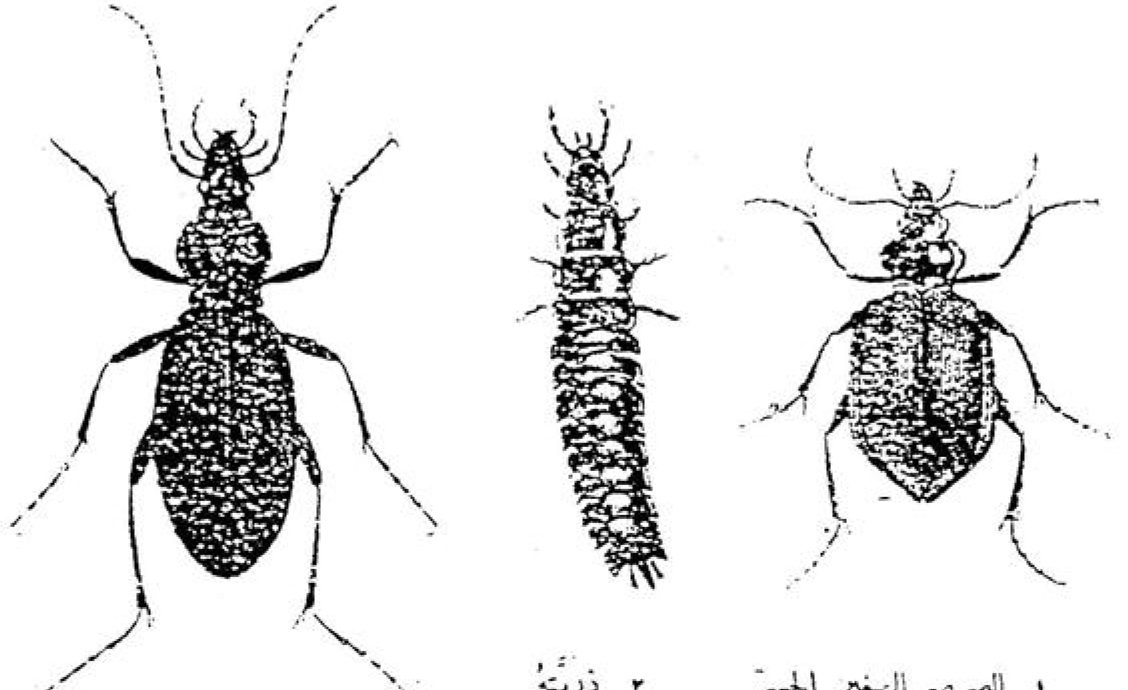
لحضرة القس مبارك صقر الدوار الراهب اللبناني

زارنا في هذه السنة صرصر اسود مثل الخنفساء ذو رائحة كريهة جدًا فحلّ في اغلب الاماكن ضيفًا ثقيلًا يفتك بدود القزّ فتكًا ذريعًا اذ يتلف منها ببرهة وجيزة مبلغًا وفيرًا. وقد شكا الكثيرون الذين ما كانوا سمعوا بخبره من انهُ اهلك مواسمهم عن آخرها. والذين لم يفطنوا باديء بدء لاتلافه من انهُ ألحق بها اضرارًا جسيمة حتى ان شرَّه لم يكن اقلَّ ضررًا في بعض المواسم التي شمَّر اصحابها عن ساعد الجدّ في ابادته. فقامت قيامة القزَّازين وغدا خبره احدوثةً لدى العموم فتكاثر القائلون بالوسائل المفيدة لاتلافه وكثيرًا ما نجحت اختباراتهم

١ وصفهُ

هذا الصرصر يدخل في جنس الدويبات التي تعدَّدت انواعها وكثرت تقاسيمها

يعرف باسم المغلَّف الاجنحة (coléoptère) لانهُ خُصَّ باربعة اجنحة منهـا جناحان اعليان صَلِبـان على شبه الغلاف كما ترى في الخنافس وتحت هذين الجناحين جناحان آخران ليّنان يسترهما الغلافان الاعليان. والصرصر الحديث احد انواعهِ يُعرف باللطيف الجسم (calosoma) لما يزيّن ظهرهُ من الخطوط المستقيمة وهي لا تظهر للعين لكن من فحصها في المجهر بانت لهُ بلون اخضر ناصع وهي بديعة في لونها وترتيبها. والشكل الذي ضرب اطنابهُ بيننا يُعرَف بالنبّاش (inquisitor) لكثرة حركتـهِ في طلب قوته وهو صغير لهُ جسم مستطيل مستدير اسود صلب الجلد ذو ست قوائم يدور بها كيف شاء ويمكنهُ ان يمدّها يمينًا وشمالًا على شكل صليب وطرفا رجليه منشاران ورأسهُ مخروط اكثر وخطمهُ خطم خنفساء. يعلوه مخلبان. وهو متين لا يؤذيه الضغط المعتدل. وهـذا شرّه اخفّ من الصنف الآخر تكون ذريّتهُ كالدودة



١ الصرصر الصغير الجسم ٢ ذريّتهُ

٣ الصرصر الكبير

ومنهُ كبير (carabus) وجنسـهُ كالاول لا يفرق عنهُ في تركيبهِ الّا قليلًا واظن ان اسمهُ عند العرب القَرنبى وهي دويبة مثل الخنفساء. ذات رائحة منتنة جدًا. وفي المثل: « القرنبى في عين امها حسنة ». وجلده اقل صلابة من الاول ولونهُ اسود. وخطمه كالاول يعلوه مُديتان كانهما سنّة الابرة محددتا الطرفين. وعيناه بارزتان كثيرًا. وهذا شرُّه جسيم

وشرٌ منهما نوع ثالث مستطيل كفرخ الحنكليز مخروط الجسم يتركب من عدة خرزات. وهذا وجوده قليل

٢ طباعه ومضراته

اكثرما يوجد هذا الصرصر (في الحصاص وبيروت القز وحواليها) في المحلات الرطبة فتوطنها هذه اقامة تحت خباء من التراب او من الورق الاخضر او من نفايات النبات لانها تجد فيها ما يلائم طباعها وترتاح اليهِ. ولذلك يكثر فيها عددها

واعظم مضرات هذا الصرصر في الليل اذ يسيح على اطباق الدود بعد الانطارة الرابعة اذ تكون الدودة اخذت بالحرير فيقطع الواحدة شطرين فيمتصها ويُلقيها جانباً اكل او لم ياكل منها. وقد شاهدنا الاطباق التي عاث فيها كأن دودها مخروزة بالابر. وهو نهم للغاية يفني كميَّة وافرة في مدة قليلة. وبينما كنَّا نفتش عليهِ لنقتلهُ قدَّمنا لواحدٍ منهُ دودةً فانقض عليها كعدوٍ ألدّ

ولأن هذه الآفة لم تجحف في غير هذه السنة فلم نعرف كم تعيش من السنين وجلُّ ما عرفناه عنها ان اوان ازدواجها في احد شهري نيسان او ايار. والانثى ترزّ (تغرز) ذنبها في الارض كالجرادة فتسرّي بيضها في جرابٍ واحد بكمية وافرة لاصقاً بعضها ببعض وكبر البيضة كحبة الخردل. ولا يمضي على تسرئتها الّا القليل حتى تفقص صغارها ولا تلبث بعد أيام ان تصير على شبه ولون الكبار بما تلتهمهُ من الطعام

٣ ظهوره

زعم بعض ان هذا الصرصر معروف في بلادنا لكنهُ لم يظهر قط الى الآن بهذه الكثرة فلم يكن يحصل عنهُ ضرر يُذكر. وآخرون بانهُ لم يكن ابدًا في بلادنا. وهذه اول مرَّة ظهر فيها. وانهُ غريبٌ دخلها من بضع سنوات وفي هذا الحول تفاقم شرّه اذ كثر دون الانتباه اليه

ومن المعقول ان الرأي الثاني هو الاصح لان انثى هذا الصرصر أسرأ من الجرادة فتبيض كما تقدَّم كميَّة ليست بقليلة. والجراد لا يمرّ عليهِ سنة حتى يملأ الفضاء. ولا يمضي على بيضه سوى القليل حتى يفقص ثم يزحف. فلو كان هذا الصرصر معروفاً في بلادنا فلمَ لم يكثر الّا هذا العام مع ان الجراد في حولٍ واحدٍ يحجب نور الشمس وهذا الصرصر كما قلنا يسرّي مثل الجراد اذا لم نقل اكثر

وقد روى لنا واحد (والعهدة عليهِ) ان قوماً من الصيداويين أتوا بهِ من اصقاع الهند السحيقة لاتلاف الدود الذي يضر بالليمون ولدن نقف بزر القزّ ترك هذا الصرصر دود الليمون ولحق بدود القز لوجود مادَّة الحرير فيهِ التي يمتصُّها بنهم

والنوع الذي يزعم البعض انهُ كان معروفاً في بلادنا فلا يزال ايضاً وهو غير النوع المضرّ الذي ظهر هذه السنة وشكله صغير وليس في خطمهِ مخالب

٤ً الوسائل لاتلافه

افادت الجرائد المحلية عن بعض الوسائل التي يجب التذرع بها لاتلاف هذا الصرصر. فقالت جريدة البشير في تاريخ ٣ حزيران: « ان انجع وسيلة لاتلافه هي قتله والسعي في ابادة بزره ودوده ما امكن واقامة الخصاص في السنة القادمة في محل نظيف يُبعد عنها الخشب لان هذا الصرصر يبزّر فيهِ. وربَّما كان الانفع ان يجعل على النوافذ مشبك من الشريط الرفيع يدفع عن الدود شرّ هذا الصرصر وغيره من الحشرات المضرَّة ».

وقالت غيرها ان البعض اماتوه برش ماء الكولونيا على اطباق الدود

والوسائل التي صحّت باختبارنا اياها وثبتت بالتجربة ورأيناها الانفع والاسهل نقدّمها للقزّازين للسعي في اهلاك هذا الصرصر وتدارك مضارّه في العام المقبل

الوسيلة الاولى — ان يحفَر او يُفلح حيث بيضُ الصرصر قبل ان ينقف فيعرَّض للهواء والشمس فيفسد فيُتملّص من شره في الموسم القادم

الثانية — اذا فقص بيضه وكبر واخذ يعيث في الدود على القزّازين ان ينزعوا كل الجزاز (الجزّ د) وينقلوه الى محل بعيد ويعتنوا بالتفتيش على تلك الهائمة فيقتلوها

الثالثة — افادنا بها جناب الدكتور يوسف افندي منصور ان يلفّوا كعب الركائز بخرق مبلَّلة بالكاز او التربنتين حوالي المحل لان رائحة احدهما كافية لان تبعد الصرصر وقد نال البعض بذلك مرغوبهم ووقوا مواسمهم

وكذلك يحسن اتخاذ قطع من الميازيب المصنوعة من التوتيا او التنك فيها من الكاز او التربنتين فتجد في اليوم الثاني شيئاً كثيرًا من الصرصر مائتاً خنقاً. لان كثرة احدهما تميته فيتصلَّب حالاً (١

١) (تنبيه) يجب ان لا توقد نارٌ حيث يوضع الكاز او التربنتين خوفاً من الالتهاب وبالاخص الاخير فانهُ سريع الالتهاب فتكون الثانية شرّ من الاولى

الرابعة — ان تُتخذ التربة حوالي الخص او البيت بعمق وعرض ثلاثين سنتيمترًا ويوضع فيها مقدار خمس سنتمترات من الكلس غير المروَّى ويترك غير مغطى فصغار الصرصر لا تتمكَّن بذلك من تعدّي الكلس

الخامسة — ان توضع على الارض تحت موائد الدود حصرٌ او اطباق مُبلَّة ثم بعد ساعة او اكثر تُكشف فيرى كثير من الصرصر تستَّر تحتها حبًّا بطراءتها فليقتل

ثم لا يُغفل عن المثابرة على اتلافهِ قتلًا اوقات الفراغ . فبهذه الوسائل ولا مراء يمكن استئصال هذه الآفة المجحفة رأف الله بعبادهِ . واذا وقفنا على زيادة ايضاح لا نتأخر عن نشرها اذا وفّق الله

التنّين او الاعصار

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انسطاس الكرملي

١ً وصفهُ على ما رأيناهُ

للآباء الدعاة الكرمليين في دار السلام بستان على بعد سبعة كيلومترات من المدينة وانت منحدر الى البصرة على الضفَّة اليمنى من دجلة عند مصبّ نهر المسعودي (نهر عيسى سابقًا) . ولما كنتُ موكّلًا على اشغال هذه الضَيعَة (germe) لوجود ايام يتعلَّمون فيها الزراعة فمن عادتي ان اذهب اليها لاشارف ما يقع او يجري فيها . وآخر مرَّة انطلقت لهذه الغاية كان صباح نهار الجمعة ١٠ أيار من هذه السنة . وكانت حالة الجوّ يومئذٍ متعبة اذ كان الجميع يشعرون بحرارة غير مألوفة يعني بحرارةٍ خانقةٍ وبسكون زائد في الفضا وبضيقٍ في التنفُّس

ولما كانت الساعة الثالثة ونصف بعد الظهر كنت على سُدٍّ يبعد ما يزيد على كيلومتر بنيّف من المنزل المبني على حافة دجلة . وقد اتخذنا السدّ المذكور صدًّا لهجات ماء الفرات المتدفق في سهول بغداد عن الدخول الى اراضينا وزروعنا وحروثنا

وبينما كنت واقفًا أُمعن النظر في اضرار الماء رأيت مشهدًا لم أرَ مثلهُ في حياتي كلها

كما اني لا اظنّ اني أرى مثلهُ ابدًا. وذلك ان الغيوم كانت قد حجبت وجهَ الشمس كل حجاب. ووجود السحاب في مثل هذه الأيام من ايار نادر جدًّا في هذه الديار. وما كان الّا هنيهة واذا بشيء اسود هائل المنظر كأنهُ نهض من الافق فتلقاهُ آخر يشبههُ كأنهُ انحدر اليهِ من علوّ السماء. فاتحدا فامتزجا فلم يكونا الّا واحدًا لا غير. ثم اخذت اعضاؤه العظيمة تتصوَّر امامي وتبرز الى الكون والوجود باسرع من النطق بها. واول ما بدا لي رأسهُ الهائل فانهُ كان عظيمًا اسود حالكًا وليست من حلكةٍ تقاربهُ او تدانيه عليهِ شعرٌ منتفش صوفي القوام. ثمَّ برزت رقبتهُ ولا أرى شيئًا يجاريها متانةً. ثم كانت تلك الرقبة زُبرةً كانت تطول طولًا عجيبًا كلما نظر اليها الانسان. ثم امتدَّ متنهُ الطويل وتدلَّى بطنهُ العريض وتكونت يداهُ ونبتت رجلاه ثم تخطَّى فتمطَّى فانباع ولم اعد ارى فيهِ الّاهامةً عظيمة وذنبًا طويلًا دقيق الطرف بعين بدت لي جثتهُ بصورة قمع عظيم هائل العظم يملأ حجمهُ الفضاء. فجاءني من اقصى قلب الافق يعدو اليَّ عدوًا حثيثًا كأنهُ يسير سير البرق. ومن غريب امرهِ انهُ كان يسير على ذنبه وهو يدوّم في مشيهِ تدويمًا كأنهُ المرصاع او الخذروف فبقيتُ واقفًا وقفة الحائر السادر لا ادري ما افعل والى أين اتجه. ثم قلت في نفسي لا مناص لي منهُ فاني انَّ افلتُّ من وجهه ادركني بخطوة واحدة من خطواتهِ ولو شابهت الريح سرعةً. واذا ما ابديتُ جلدًا وثباتًا وقوة جنان عاملني معاملة جبَّار لجبَّارٍ ولو كنتُ صغير القامة بالنسبة اليهِ او قابلني مقابلة جليات لداود

وما كانت هذه الخواطر تجول في خلدي الّا وبهذا المسخ اراني عيونًا لامعة بارقة تقذف شررًا مستطيلًا وتخرج من كل صدرهِ او كل رأسهِ اذ لا اعلم ما اسمّي هذا الجزء الاعلى من خلقتهِ اذ ليس فيهِ سوى جزئين: أعلى وأسفل فالأعلى بصورة اعلى القمع والادنى بصورة أسفل القمع او بصورة الذنب المستطيل الدقيق الطرف. ومن بعد ان حملق عيونهُ اسمعني صفيرًا دوت لهُ البساتين كلها واخذ يتكرَّر تكرارًا عجيبًا اذ كان الصدى يتقاذفهُ ويترامأهُ فيُسمع تارةً ذات اليمين وطورًا ذات الشمال. ومرةً من فوق وأُخرى من تحت. وآونةً من امام وحينًا من خلف او من وراء. اسمعني صفيرًا اسكت جلبة القوم وضوضاء اهل الحصاد ونباح الكلاب الذي كان قد علا وارتفع من كل جهة ولا اعلم السبب المحرّك لذلك. اسمعني صفيرًا احدث جمودًا وسكوتًا في تلك البقعة كلها على طولها وعرضها. اسمعني صفيرًا وايَّ صفير حتَّى لو كان امكنني ان

انحدر تحت الارض لفعلت. اسمعني صفيرًا ارتعدت لهُ فرائصي واقشعرَّ لهُ جسمي واكفهرَّ لهُ وجهي وانتقع لهُ لوني وارتعشت لهُ اعضاءي وتقطعت لهُ مفاصلي وسلبَ مني كل قوَّة وجمد لهُ دمي في عروقي وعرق لهُ بدني من فوق الى اسفل. اسمعني صفيرًا لا يشابهُ صفير شيءٍ في هذه الارض فانهُ كان مرعبًا مزعجًا مُخرسًا مسكِتًا مُبهتًا مُوقفًا مرجفًا يملأ الصدر حشرجة ولا حشرجة الموت ويحبّب الى النفوس قبول هذا الموت عن طيبة خاطر تفاديًا من سماعهِ. اسمعني صفيرًا اوقف كل حركة فيَّ. وكنت اريد المسير الى امام فما كنت استطيعهُ اذ كنت اراني في حلمٍ من الاحلام وقد هجم عليَّ كابوس من اوبق الكوابيس فامسكني عن كل حركة حتى عن الحركة الفكريَّة

فسألت اعرابيًا وكان بجانبي (وكان هذا السؤال قبل ان يعتريني هذا الاضطراب) ناشدتك الله يا أخا العرب قُل لي بحياتك ما هذا؟ — قال: هذا التنين. وسوف يأتينا فيفنينا: الَّا اذا رحمنا الله برحمتهِ الواسعة وانجانا بقدرتهِ فلا خوف علينا حينئذٍ. وكان قد اخذ الضحك ان يستحوذ عليَّ لسماعي كلمة التنين وما شعرت الَّا بسحابة سوداء قد احاطت بي من كل جانب وساورتني مساورة الحية لقاتليها واخذت تنث في وجهي رملًا دقيقًا أزبد او اسود ثم ثار اعصار هائل كان يرفعني عن الارض ويلقيني مرَّة الى امام ومرَّة الى الوراء وتارةً الى اليمين وتارةً الى اليسار على بعد ٧٥ سنتيمترًا من مركزي. ثم عقبهُ مطر غزير كبير القَطر. كثيف الوقع معهُ حصى دقيق كنتُ أُحذَف بهِ حذفًا. وكانت بيدي شمسيَّة فاخذت ادافع بها عن نفسي فتخرَّقت وتمزَّقت وتكسَّرت مساندها الحديديَّة ووقعت اكثر من ثماني مرَّاتٍ على الارض ورُفعت عنها خمس او ست مرَّات ولمَّا وصلتُ الى القصر كادت الروح تفارقني وبعد المعالجة ثابت اليَّ روحي. وكنت اتصوَّر اني في موقف يوم الدين

فهذا هو التنين الذي عرفهُ العرب سابقًا وهذا هو الذي يهاجم اهل البادية من دهر الى دهر. وهو الذي يقتل بشدَّتهِ الناس ويُخرج منهم الانفاس ويدفعهم بل يدفنهم في الارماس ويفترس بنارهِ الآكلة الحيوان والاشجار ويفترش بانفاسهِ المحرقة مسايل الانهار فيشرب ما فيها ويقذفها الى انأى الديار. هذا التنين الذي يقلع الاشجار من جذورها وعروقها. ويتصرَّف بها كما يتصرَّف الوُليد بدوبيات الارض او صغار طيورها هذا التنين الذي يخرب الدور. ويهدم القصور. ويجعلها لاهلها بمنزلة القبور

نزل التنين في بلدتنا في اليوم المذكور فجر بذيلهِ على بلدتنا الويل والثبور استأصل الاشجار وأتلف الزروع وامات اناساً في لحظة عين فزادت بلايا هذه المدينة على ما وقع فيها وتوالى عليها من النكبات والويلات. انَّ الله رحيم غفور يطالب من اهل الدنيا التكفير عن الخطايا والكبائر قبل ان تُلقى عليهم كبائر الصخور

٣ التنين على رأي العرب الأقدمين

جاء في لسان العرب :

« التنين ضرب من الحيَّات من اعظمها كأكبر ما يكون منها . وربَّما بعث الله عزَّ وجلَّ سحابةً فاحتملتهُ وذلك فيما يقال . والله اعلم . ان دوابَّ البحر بشكونهُ الى الله تعالى فيرفعهُ عنها . قال ابو منصور : واخبرني شيخ من ثقات الغزاة انهُ كان نازلًا على سِيف بحر الشام فنظر هو وجماعة اهل العسكر الى سحابة انقسمت في البحر ثم ارتفعت ونظرنا الى ذَنب التنين يضطرب في هيدب السحابة وهبَّت بها الريح ونحن ننظر اليها الى ان غابت السحابة عن ابصارنا . وجاء في بعض الاخبار : ان السحابة تحمل التنين الى بلاد ياجوج وماجوج فتطرحهُ فيها وانهم يجتمعون على لحمهِ فيأكلونهُ » . اه بنقلهُ بحرفهِ

وقال في خريدة العجائب (ص ٧١) :

« ذكروا انه يرتفع من هذا البحر (بحر الخزر) تنين عظيم يشبه السحاب الاسود وينظر اليهِ الناس . وزعموا انَّها دابة عظيمة في البحر تؤذي دوابَّهُ فيبعث الله عليها سحاباً من سُحب قدرتهِ فيحملها ويخرجها من البحر وهي صفة حيَّة سوداء لا يمرّ ذنبها على شيء من الابنية العظام الَّا سحقتهُ وهدمتهُ ولا من الاشجار الَّا هدمتها . وربما تنفست فاحرقت الاشجار والنباتات . قال : فيلقيها السحاب في الجزائر التي بها ياجوج وماجوج فتكون لهم غذاء . ورُوي عن ابن عباس رضه هذا القول » اه

قلتُ : الذي يأكلهُ اهل ياجوج وماجوج هو السمك الذي يحملهُ هذا التنين لا غير فليُحفظ :

وقال المسعودي في مروج الذهب :

« وقد اختلف الناس في التنين : فمنهم من رأى انهُ ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر الى النسيم وهو الجو فتلحق السحب كالزوبعة . فاذا ثارت من الارض واستدارت واثارت معها الغبار ثم استطالت في الهواء ذاهبة الصعداء تُوهم الناس انها حيات سود . ومنهم من رأى انها دوابّ تتكوَّن في قعر البحر فتعظم وتؤذي دوابّ البحر فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها وانها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص لا تمرّ بمدينة الَّا اتت على ما لا يُقدر عليهِ من بناء عظيم او شجر او جبل . وربما تتنفس فتحرق الشجر الكبير فيلقونها في سدّ ياجوج وماجوج ويمطر السحاب عليهم فيقتل ذلك التنين ومنهُ يتغذى ياجوج وماجوج » اه

قلتُ: واذا كان التنين نارٌ أُطلق عليهِ اسم الاعصار عند العرب

وذكر ياقوت في مادَّة كلِز من معجم البلدان ما هذا اعادة نصهِ:

جرى في هذه الناحية (كلز) في ايامنا هذه شيء عجيب كنت قد ذكرت مثالهُ في سدّ ياجوج وماجوج وكنت مرتاباً فيهِ ومقلّداً لمن حكاه فيهِ حتَّى اذا كان في اواخر ربيع الآخر سنة ٦١٩ هـ (١٢٢٢ م) شاع في حلب وانا كنتُ بها يومئذٍ ثم ورد بصحّتهِ كتاب والي هذه الناحية انهم رأوا هناك تنّيناً عظيماً في طول المنارة وغلظها. اسود اللون وهو ينسابُ على الارض والنار تخرج من فيهِ ودُبرهِ. فما مرَّ على شيءٍ الَّا واحرقهُ حتى انهُ أتلفَ عدة مزارع واحرق اشجاراً كثيرة من الزيتون وغيره. وصادف في طريقهِ عدة بيوت وخركاهات للتركمان فاحرقها بما فيها من الماشية والرجال والنساء والاطفال. ومرَّ كذلك نحو عشرة فراسخ والناس يشاهدونهُ من بعد حتى اغاث الله اهل تلك النواحي بسحابة اقبلت من قِبَل البحر وتدلّت حتى اشتملت عليهِ ورفعتهُ وجعلت تعلو قبل السماء والناس يشاهدون النار تخرُجُ من قُبُلهِ ودبرهِ وهو يُحرِّكُ ذنبهُ ويرتفع حتى غاب عن اعيُن الناس. قالوا: ولقد شاهدناهُ والسحابة ترفعهُ وقد لفَّ بذنبهِ كلباً فجعل الكلب ينبح وهو يرتفع وكان قد احرق في ممَرّهِ نحو اربعمائة شجرة لوز وزيتون». اه

وذكر الكاتب في مادَّة سُدّ ياجوج قال:

«واما ذكر التِنّين فرأينا منهُ بنواحي حلب ما ذكرتهُ في ترجمة كلِز وجملتهُ حُجَّة على ما أُوردهُ هنا من خبرهِ وشجّعني على كتابتهِ فانَّ الانسان شديدُ التكذيب بخبر ما لم يرَ مثلهُ. رُوي عن شدّاد بن افلح المقريّ انهُ قال: عُدتُ عُمَر البكاليّ فذكرنا لون التنّين فقال عمر البكاليّ: اتدرون كيف يكون التِنّين؟ قلنا: لا. قال: يكون في البرّ حيَّة متمرّدة فتأكل كل حيّات البرّ فلا تزال تأكلها وتأكل غيرها من الهوامّ وهي تعظم وتكبر ثم يزيد امرها. فتأكل جميع ما تراه من الحيوان فاذا عظم امرُها ضجّت دوابّ البرّ منها فيرسل الله تعالى اليها مَلَكاً فيحتملها حتَّى يُلقيها في البحر فتفعل بدواب البحر مثل فعلها بدواب البرّ فتعظم ويزداد جسمها فتضجّ دواب البحر منها ايضاً فيبعث الله اليها ملكاً حتى يخرج راسها من البحر فيتدلّى اليها سحاب فيحتملها فيُلقيها الى ياجوج وماجوج»

قلتُ انا: وهذا رأيٌ كان يراهُ الاقدمون وليس حقيقةً بل وليس فيهِ ذرَّة من الحقيقة. فاحفظهُ

وحدَّث المُعلّى بن هلال الكوفي قال: كنتُ بالمصيّصة فسمعتهم يتحدَّثون ان البحر ربَّما مكث اياماً وليالي تصطفق امواجهُ ويُسمع لهُ دويٌّ شديدٌ فيقولون: ما هذا الَّا بشيءٍ آذى دوابَّ البحر فهي تضجُّ الى الله تعالى. قال: فتُقبل سحابة حتى تغيب في البحر ثم تُقبل اخرى حتى عدَّ سبع سحابات. ثم ترتفع جميعاً في السماء وقد حملنَ شيئاً يرون انهُ التنّين حتى يغيب عنَّا ونحن ننظر اليهِ يضطرب فيها فربَّما وقع في البحر فتعود السحابة الى البحر بالرعد الشديد الهائل والبرق العظيم حتى تغوص في البحر وتستخرجهُ ثانيةً فتحملهُ فربَّما اجتاز وهو في السحاب وذنبهُ خارج

عنها بالشجر العادي والبناء الشامخ فيضربهُ بذنبهِ فيهدم البناء من اصلهِ ويقلع الشجر بعروقهِ . ولقد احتملهُ السحاب من بحر انطاكية فضرب بذنبهِ بضعة عشر برجاً من ابراج سورها فرمى بها . ويقال ان السحاب الموكَّل بهِ يختطفهُ حيث ما رآه كما يختطف حجرُ المناطيس الحديد فهو لا يُطلع راسهُ من الماء خوفاً من السحاب ولا يخرج الّا في القرط اذا صَحَت الدنيا (وفي الاصل المطبوع : صَحَّت الدنيا بتشديد الحاء وهو غلط ظاهر)

« وذكر بقراط الحكيم اليوناني في كتاب الثراء . انهُ كان في بعض السواحل فبلغهُ ان هناك قُرى كثيرة قد فشا فيها الموت . فقصدها ليعرف السبب في ذلك . فلمَّا فحص عن الامر اذا هو بتنين قد احتملهُ السحاب من البحر فوقع على نحو عشرين فرسخاً من هذه القرى . فنتن ففشا الموتُ فيها من نتنهِ فعمد ذلك الفيلسوف فجبا من اهل تلك القُرى مالًا عظيماً واشترى بهِ ملحاً . ثم امر اهل تلك القُرى ان يحملوهُ ويُلقوهُ عليهِ ففعلوا ذلك حتَّى بطلت رائحتهُ وكفَّ الموتان عنهم . (قلتُ : قد يكون هذا الجرم جسم سمكة عظيمة احتملها التنين)

« ورُوِي عن بعضهم : انهُ قصد موضعاً سقط فيهِ فوجد طولهُ نحو الفرسخين وعرضهُ فرسخ ولونهُ مثل لون النمر مفلس كفلوس السمك . ولهُ جناحان عظيمان كهيئة اجنحة السمك وراسهُ مثل التلّ العظيم شبه راس الانسان . ولهُ اذنان مُفرطتا الطول وعينان مدوَّرتان كبيرتان جدًّا ويتشعَّب من عنقهِ ستة اعناق طول كل عنقٍ منها عشرون ذراعاً في كل عنق راسٌ كراس الحيَّة . قلتُ (يعني ياقوت) : هذه صفة فاسدة لانهُ قال اولًا : لهُ راس كراس انسان . ثم قال : رؤوس كرؤوس الحيَّة . وقد نقلتهُ كما وجدتهُ ولكن تركهُ اولى » . اه نقلهُ عن ياقوت

قلت انا : ولا حاجة الى ما في هذا الكلام من الاختلاق البيّن والكذب الحنبريت

ولو اردنا ان نورد هنا كل ما ورد في كتب العرب عن التنين لتقوَّم منهُ كتابٌ قائم براسهِ . فقد اجتزأنا بما ذكرنا تاركين كلام سائر المؤلفين لمن يريد يُقابل بين اختلاف الروايات واختلاقها ويجمع منها ما خالف الحقيقة فيضرب بهِ عرض الحائط ويؤلّف ما جاء منها مطابقاً للحقيقة فيسند بهِ حقائق العلم الراهنة

وجملة القول في ذلك : ان الحقيقة بيّنة من مطاوي الكلام والزيادة فيها لا تخفى على ذوي الاحلام والأفهام إذ انَّ عمل الأوهام يظهر في كل عبارة اذ كل امرئٍ ينطق على موجب تصوُّرهِ على حدّ ما تخيَّلنا نحن ما رأيناه رأي العين . واما الحقيقة العلميَّة في ذلك فستُذكر بُعيد ذلك

٣ تنين الاقدمين عند الكَتَبة الاجانب

حكاية التنين متوشّجة العروق في ارض التاريخ القديم . ولم يكن العرب وحدهم عرفوهُ بل عرفهُ غيرهم من سائر الامم المختلفة فالرومان عرفوهُ باسم draco واليونان

باسم δράκων وعنهم تلقَّى الرومان الاسم المعروف عندهم . واللفظة مأخوذة من δέρκομαι اي نظر شزرًا وحَملَقَ لِما يُنسب اليهِ من النظر الهائل . على ان اللفظة العربيَّة تُقابل لفظتين اعجميَّتين وهما : dragon و typhon . وقد نقل العرب تحت عنوانٍ واحدٍ مادة ترجمتين فخلطوا وخبطوا . والَّا فان ما جاء بمعنى « تيفون » فقد وصفهُ كذلك ابناء الغرب . وما جاء بمعنى الثعبان فقد ذكرهُ ايضًا كُتَّاب اولئك الناس على حدّ ما ذكرهُ ابناء العرب . وقد رأيت في كلام ياقوت عدة صفات لهُ لعدَّة رُواة قد جمعت بين الوصفين وبذلك كفاية بل غنًى عن كل تفصيل آخر

قال بلينيوس وفيلسترغيوس ما محصَّلهُ : « ان طول تنانين الحبشة تبلغ نحوًا من ٢٠ ذراعًا . وقال أيليانوس موكِّدًا انهُ وجد ما طولهُ ٣٠ قدمًا . وذكر تنينًا في الهند واسع العينين كانهما تُرسان مقدونيَّان . ثم ذكر ان هذا التنين كان في عهد اسكندر ذي القرنين وان الناس عبدوهُ وكان يسكن مغارة يخرج منها راسهُ فقط . ومما رواهُ العرب في التنين الذي كان في ايام الاسكندر ما نقلهُ الوردي في الصفحة ٦١ من كتابهِ فراجعهُ هناك خوفًا من تكرارهِ على ما لا طائل تحتهُ

وذكر ديودورس الصقلي تنينًا طولهُ ٣٠ ذراعًا اخذ في عهد بطليموس اڤرجيتوس

وذكر نيقيفور الكاتب تنينًا آخر ثقيل الجثة جدًّا لا يجرُّهُ الَّا ستَّة عشر ثورًا وان سكان ذلك القُطر احرقوهُ لئلَّا يفسد الهواء بنتانتهِ لكثرة ما يتولد من فسادهِ من العفونات في البلاد . وقال ايليانوس : للتنين الذكر عُرفٌ او زُبرة ولحية . والتنين واسع الفم على ما نقلهُ الكلُّ بنوعٍ مطَّرد . ولهُ اسنان قوية حادَّة وذكر ابن سينا : ان انيابهُ تشبه انياب الناخر او الخنزير البريّ بيد ان سولينوس يخالف من تقدَّمهُ في هذا الراي اذ يقول : ليس للتنين فم لكن قنوات انبوبيَّة لا يتخذها للعض بل للتنفُّس ولاخراج لسانهِ . وقد اتفق الجميع على ان نظرهُ حادٌّ كلَّ الحدَّة . وكذلك اتفقوا على انَّ جسدهُ مفلَّس كفلوس السمك وعلى رقبتهِ زُبرة كزبرة اللَّيث . وقال قومٌ : ان من التنانين ما يكون مجنَّحًا . وبالاجمال ليس للتنين ارجل او قوائم على راي الاقدمين لكنهُ يُطيق على السباحة . قال بلينيوس : ان تنانين الحبشة تعبر البحر اسرابًا وطوائف من اربعة الى خمسة وتذهب الى جزيرة العرب رافعة رؤوسها عن الماء .

ولم يجمع الجمهور على لونهِ مع انهم قد أجمعوا على ان صفيرهُ حادٌّ وعلى انهُ يأوي

الى الجراج والزآرات الظلية والمغاور الغائرة البعيدة القعر والانهر الفسيحة . واما قوتهُ فقالوا عنها انها تفوق قوة كل حيوان فانهُ يقتل الفيل بسهولة كلية . وانما لاقاهُ صرعهُ وجندلهُ . واما طعامهُ فذوات الخف والظلف ولا يستنكف من اكل الطير اذا وقع بيدهِ او وقع عليهِ نفسهُ لانهُ يستجلبهُ اليهِ بمجرد اطلاق نفسهِ عليهِ . لا بل ويأكل بعض النباتات . وقال لوقانس : ان تنانين افريقية سامة واذا عضت واحدًا من اهلها عمد اصحابهُ الى اتخاذ الوسائط اللازمة لشفائهِ . وقالوا : ان خفة حركة التنين وحدة بصرهِ ونشاطهِ مما جعلهُ الحارس الاعظم للكنوز وانهُ يلتذ كثيرًا بسماع الغناء والانغام المطربة وقد اكثر المؤرخون من اهل الثقة ذكر التنين ووصفهُ . واما پلينيوس فقد اقرّ واضحًا انهُ لم يرهُ احدٌ قط . وقد شوهدت صورة التنين مصورة ومنقوشة على كثير من الآثار القديمة بهيئة حية ماردة هائلة العظم

ويرمز اليونان والرومان بالتنين الى منيرفة إشارةً الى الحكمة التي لا تعرف النوم والى باخوس رمزًا الى شدة عربدة السكران

والخلاصة في هذا الباب ان التنين حيوان خرافي تخيلهُ الاقدمون بقامة هائلة العظم وعينين متقدتين مهددتين مخيفتين وفمٍ يقذف نارًا وشرارًا وراس كراس الاسد وذنب كذنب الثعبان يكون مجنحًا وغير مجنح ومفننًا من فوق الى اسفل . وعلى هذه الصفة كان الاولون يصفون تنين الجزة الذهبية وتنين بستان الهسپريدة . وعلى هذه الصورة والهيئة كانت ايضًا الخيميرة (chimère)

التنين في الكتاب المبين

وقد ورد ذكر التنين مرارًا عديدة في الكتاب المبين بمعانٍ مختلفة في البيان والتبيين . فمنها بمعنى الدابة البحرية العظيمة او السمكة الهائلة العظم . ومنهُ في سفر الخلق (١ : ٢١) حيث يقول : « وخلق الله التنانين وكل دابة من كل ذي نفس حية فاضت بهِ المياه بحسب اصنافهِ » . وقال ايوب (في ٧ : ١٢) : « أبحرٌ انا او تنين حتى تجعل حولي سدًا » . وقال صاحب الزبور (في ١٤٨ : ٧) : « سبحي الرب من الارض ايتها التنانين وجميع الغمار »

وجاء حرف التنين في التنزيل العزيز بمعنى الحية العظيمة . فقد ورد في سفر الخروج (٧ : ٩) : « خذ عصاك وألقها بين يدي فرعون تصر تنينًا » وتكرر هذا اللفظ في

ذلك الفصل . وجاء في تثنية الاشتراع (٣٢ : ٣٣) : « حمة التنانين خمرهم وسم الافاعي القاتل » . ووردت بهذا المعنى ايضاً في المزمور (٩١ : ١٣) وفي ارميا (٥١ : ٣٤)

وورد التنين في الكتاب الكريم بمعنى ثالث اي بمعنى التمساح . راجع وصفه في سفر ايوب (٤٠ : ٢٥) وما يلي هذه الآية ترهُ لا ينطبق الّا على التمساح كما شرحهُ المفسّرون والعلماء المتبحرون . وراجع ايضاً سفر اشعيا (٢٧ : ١) و (٥١ : ٩) وسفر حزقيال (٢٩ : ٣ و ٣٢ : ٢) وسفر المزامير (٧٤ : ١٣) الى آخر ما تكرّر مجيئهُ في ذلك . وعلى كلّ حالٍ فلا يُراد بهِ ابدًا الحيوان الخرافيّ اذ القرائن ظاهرة بوجودهِ كسائر الحيوانات والدوابّ . ولعلّ ذكرهُ في مخلوقات البحار دفع الغير الى ان يتوهموهُ بالصورة التي اخرجوها عن الحقيقة الراهنة . والله اعلم

٥ً التنين في كُتب النصارى الأقدمين والمحدثين

يكثر ذكر التنين في تراجم القديسين وفي كتب الصلحاء وغيرهم ويريدون بذلك امّا رؤى تمثّلت لهم باذن الله وامّا رمزًا الى الشيطان ذلك الروح اللعين الذي تشكل بشكل حية منذ القديم لأبوينا الأوّلين ليطغيهما . وكذلك رمزوا بهِ الى الشرّ او الشرّير او الظُلمات او اهل الظلمات وعليهِ تصوير رئيس الملائكة ميخائيل يصرع التنين الجهنمي . والعذراء مريم تسحق برجليها عدوّ بني آدم . وهكذا صوّر النصارى صورة القديس جرجس يضرب التنين برمحهِ (راجع المشرق ٦ : ٣٨٨)

٦ً التنين في عبادة الاقدمين

قد بيّنا ان الاقدمين قد رمزوا بالتنين الى الروح النجس الخبيث والى قوى الطبيعة المادية وقد عبدهُ الاقدمون كما عبدوا الارواح الخبيثة بعد ان ألّهوها كما انهم عبدوا الرذائل بعد ان مثّلوها في بعض رجالهم او نسبوها لآلهتهم وصور هذا الاله الغريب وُجدت منقوشة او مصوَّرة في عدّة هياكل على اشكال مختلفة من ثعبان او دابّة ذات اربع قوائم او غير ذلك وقد اتخذ اهل الشرق رايات عليها صورة تنين لاسيما المصريون من اهل هذه الديار الشرقية . وكذلك فعل اهل الغرب ولاسيما ابناء القبائل القلطية . ولعلّ الكل يرجع الى اصل يوناني اذ تذكر خرافات هؤلاء الاقوام ان ابلّون قتل بيثون واستأصل عبادة الحية بحكمة سامية فائقة

٧ التنين عند العلماء المحققين

عرَّف العلماء التنين قالوا: هو عمود بخار قليل الاعوجاج والميل او كثيره ُ ينتقل من سحابة الى الارض او الى البحر وتكون حركتُهُ رَحويَّةً متنقِّلة سريعةً كل السرعة. والهواء يُدوِّم حول العمود الى مسافة محدودة تنقطع وراءها كل حركة فلا يكون ثمَّ الَّا ركون وسكون مُطلق. ويخرج احياناً من صدره برقٌ بهزيم يقصف قصفاً

واكثر ما يكون اطلاق لفظة التنين على إعصار البحر خاصةً وان جاءت احياناً بمعنى اعصار الارض ايضاً الَّا انَّ هذه تعرف باسم الزوبعة للفرق بينهما. وتكون تنانين البحر صاعدة او نازلة حسبما يبتدئ مخروطها مرتفعاً من البحر صُعُدًا او ينحدر من السُحُب هُويًا. وهي على كل حال من اعظم الطوامّ للمراكب والسفن وجواري البحر التي تصادفها في ممرّها فانها تساورها اشدَّ المساورة وتحلّق بها في الجوّ ثم تقذف بها من حالق وتغرقها في اغلب الاحايين اللهمَّ الَّا اذا كان البحريون يُصلونها نار حرب حامية بان يطلقوا عليها المدافع فحينئذٍ ينقسم العمود فينقطع بذلك الاتصال الموجود بين السحاب والعباب وهذا ما يزيل القضاء. وعلى الاقلّ موقّتاً

والظاهر ان تنانين البحر خاصة بالديار المداريَّة يعني انها تقع في البلاد الواقعة بين دائرتَي السرطان والجدي

اما الزوابع فقد عرَّفها العرب تعريفاً يقرب او يبعد عن الحقيقة قليلًا او كثيرًا. قال صاحب اللسان:

الزوبع والزوبعة: ريح تدور في الارض لا تقصد وجهاً واحدًا تحمل الغبار وترتفع الى السماء كأنهُ عمودٌ. أُخذت من التزبُّع (وهو سوء الخلق والتغيُّظ) وصبيان الاعراب يكنون الإعصار: «ابا زَوبعة». يقال فيهِ شيطان مارد. وزَوبعة اسم شيطان مارد او رئيس من رؤساء الجنّ ومنهُ سُمّي الاعصار زَوبعة. ويقال ام زوبعة

وقال ابن الاثير في تحفة العجائب وطرفة الغرائب:

ومن الرياح: الزوبعة وهي التي تدور على نفسها واكثر ثورانها من رياح ترجع من الطبقة الباردة فتصادف رياحاً تدوّرها الرياح المختلفة فيُحدث دورانُ السحاب تدوير الريح فيترل على تلك الهيئة. وقيل: ان سببها التقاء ريحَين مختلفي الهبوب فيحدث بسبب ذلك ريح مستديرة اه

وقال القزويني في عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات:

من الرياح المعجبة الزوبعة : وهي الريح التي تدور على نفسها شبه منارة واكثر تولُّدها من رياح ترجع من الطبقة الباردة فتصادف سحابًا تذروهُ الرياح المختلفة فيحدث من دوران الغيم تدوير في الريح فيتنزل على تلك الهيئة . وربما يكون مسلك صعودها مدوَّرًا فيبقى هبوطها كذلك مدوَّرًا كما يشاهد في الشمر الجعد فان سبب جعوده قد يكون لاعوجاج المسامّ . وربما يكون سبب الزوبعة التقاء ريحين مختلفي الهبوب فانهما اذا تلاقيا تمنع احداهما الاخرى عن الهبوب فتحدث بسبب ذلك ريح مستديرة تشبه منارة . وربما صادفت الزوبعة السفينة فترفعها وتدورها وتُغرقها . وربما وقعت قطعة من الغيم في وسط الزوبعة فتدورها في الهواء فترى شبه تِنِّين يدور في الجوّ . اه

واما العلماء المحدثون فقد قالوا انهُ يسبق الزوابع وَغرةٌ ووَمدةٌ وحرٌّ خانق فيهِ ركود وجمود ولاسيما يتميَّز بهبوط عظيم وسريع في مقياس الجوّ . وتعريفها عندهم كتعريف التنانين وهي لا تقلّ خطرًا عن هذه والخراب الذي تنزلهُ في المواطن التي تمرّ بها يشهد على هولها وفتكها واجتياحها . واما تعليلها فسيأتي الكلام عنهُ في محلهِ مع ذكر من اشتهر بالبحث عنها

هذا وقد ذكر التاريخ شيئًا كثيرًا من هذه التنانين والزوابع من ذلك ان قمبيز ملك الفرس بعث بخمسين الف مقاتل على واحة سيوة او واحة أمون فهلك جيشهُ بزوبعة هبَّت عليهم في مسيرها فهلكوا عن بكرة ابيهم ولم ينجُ منهم واحدٌ

ولما كان العمود الذي يحدث في الزوبعة شديد القوّة فكثيرًا ما يجمع في أحشائهِ في دورانهِ كل ما يمرّ بهِ من تراب او رمل او حصى واذا مرَّت بغدير او بحيرة نشَّفت ماءهُ ونقلت سمكهُ وضفادعهُ او محتوياتهِ الى بُعد شاسع فيتخيَّل للناس ان السماء تمطر سمكًا او ضفادع او اثمارًا مختلفة . فقد شوهد احيانًا تساقط حيوانات ودويبات مختلفة ومطر حبوب وثمار شتى . وروى المسيو بَلتيَه (Peltier) الفرنسيّ ان ضفادع كثيرة هوت من الفضاء على قبعتهِ ويديهِ وغطَّت أديم الارض حولهُ . وشوهد ايضًا تساقط سمك صغير من السماء في فرنسة والهند وايطالية والمانية وبلاد الصين . وطرأت زوبعة في نابلي سنة ١٨٣٣ فمرَّت ببستان برتقال فحملت منهُ ثمرًا كثيرًا وبعد بضع دقائق امطرت السماء برتقالًا على سطح بيتٍ بعيد عن البستان . وكان ايضًا في فرنسة غدير كثير السمك فمرَّ بهِ اعصار سنة ١٨٣٥ فاغترفهُ وانتثر مطرًا على مسافة غير بعيدة عنهُ

ووصف بعضهم هولها بعد مرّها قال : هبَّت زوبعة في غابة فضربت فيها مسافة

ثلثة اميال وهي تقطع اشجارها وتحطم كل ما قام في وجهها . ثم هجمت على الحروث فاجتاحتها . وهدمت بيوتاً كثيرة فدكتها حتى غدت هباء منثوراً . ثم جاءت وعراً يانع الشجر رائع الثمر متين الاغصان طويل الافنان متوشج العروق مشتبك الاصول والفروع اكثره من السنديان الصلب فلم تبقِ فيه ولم تذر . وكان في الغابة سنديانة عاديَّة كبيرة قطر ساقها ثلاثة اقدام تلوح للناظر كأنها طود راسخ بين اخوانها فثارت بها الزوبعة فحطَّمتها تحطيماً . فحسبتُ سرعتها من سيرها فالفيتُها ١٧٣ ميلاً في الساعة او ٢٥٣½ قدم في الثانية اي ربع سرعة قنبرة المدفع ...

ويكثر حدوث الزوابع في البوادي والصحارى الواسعة الحواشي فتعلو منها اعمدة رمال عظيمة فتجفّ الريح ويشتدّ الحرّ ويعسر التنفس ويضيق الصدر . والبادن ان الحيوانات ولاسيما الاباعر تشعر بها عن بعدٍ وقبل حدوثها فيأخذها الارتعاج والاضطراب واذا كانت اباعر تنفر في عرض البادية حتى اذا اصابت ما تستذري بهِ لجأت اليهِ وجعلت رؤوسها بين يديها مضطجعة على الارض . والظاعنون المحنَّكون يخرُّون بوجوههم ملتفّةً على الارض حتى تمرّ فاذا قصر زمان مرورها ولم تطمرهم الرمال نجوا والّا هلكوا

٨ آراء مشاهير العلماء المدققين في حقيقة امر التنين

اشهر العلماء الذين بحثوا عن حقيقة التنين فرنكلين (Franklin) ومُسشنبرُوك (Musschenbroek) ومُنج (Monge) وغيرهم . فانهم اعتبروهُ بمنزلة دُرْدُورٍ هوائيّ تولّدهُ مُصادفة مجريَيْن متعاديَيْن . وبريسون (Brisson) هو اول من رأى في ذلك اثرًا كهربائيًا الّا ان پلتيه في كتابهِ « بحثٌ في التنانين » هو اول من توفّق الى هتك ستر سرّ هذا الحادث الجويّ أتمّ هتكٍ . فعلى رأيهِ ان السحابة المتكهربة اذا مرّت بالارض على بُعدٍ معلوم تنجذب اليها وتهوي هُويًّا . وحينئذٍ اذا كانت هذه الغيمة كثيفة مندمجة الدقائق ومتلازّتها يَنتأ هيدبُها نُتوءًا غريبًا ثم يمتدّ ويتنّ شيئًا فشيئًا . واذا كان الحادث يطرأ فوق البحر فينهض الماء نهوضًا ويذهب صُعُدًا نحو طرف هذا النُّتوء فيتقوّم من ذلك عمود يَنتصب بين العباب والسحاب . هذا واذا كان المخروط يَنشأ بعكس ذلك من فوق اديم الارض ينجذب الغبار وصغار الاجسام وخفافها ثم تذهب صعدًا نحو راس المخروط ثم تتدافع ثم تعود فتتجاذب ثانيةً . وعلى هذه الصورة

ينشأ الاتصال بين السحاب والارض وحينئذٍ تنجذب اعظم الاجسام واضخمها فتحدث التنانين والزوابع اعمالا آلية قويَّة عجيبة غريبة وكلها لا تخلو ابدًا من مصدر كهربائي فترفع وتقلع وتقطع وتقلب وتسلب وتنشّف وتكثف وتحرق وتغرق وتقرّب وتبعّد وتذيب وتفعل غير ذلك من الاعمال كانها من الاعمال السحرية ترجع جميعها الى فعل الكهربائية الخفية ولهذا نسبها العرب الى اعمال متمرّدي الشياطين

٩ً اصل لفظة التنين في اصطلاح اللغويين

التنين على ما جاء في محيط المحيط « ماخوذ من تنَّ بمعنى امتد » وهو مع ذلك لم يذكر تنَّ في اول المادة بهذا المعنى. كما اننا لم نعثر في كتاب من الكتب على هذا الفعل ولا على الاشتقاق. وعلى كل فان ثبت « تنَّ » بمعنى امتدَّ صحَّ اشتقاق التنين منهُ. وقد ذكر صاحب محيط المحيط بمعنى « تنَّ »: « أتنَّ ». وهو غير موجود في ديوانٍ من دواوين اللغة. ولعلَّ ما في يدنا لا يفي بالمطلوب

وعلى كل فان مادة « ت ن » او « ت ن ن » تدلّ على الامتداد والكبر والعظم في سائر اللغات وكلها كانها ماخوذة من « ت ن ن » بمعنى استطال وامتدَّ كالدخان. ففي العبرانية תנן معناه: دخن او امتدّ كالدخان. ومثلهُ في الحبشيَّة ጤነነ بمعناه. وكذلك بالسريانية ܬܢܢ والعربيَّة فقدت هذه اللفظة مع ان فرعها المتولد منها بزيادة حرف في اولهِ موجودًا اي « عثن » يقال عثنت النار: دخنت. وباليونانية ἀτμίς البخار وهذه المادة موجودة ايضًا بهذا المعنى والمبنى في المندانية والسامرة

وباليونانية ταινία سمكة طويلة ومن ذلك اللاتينية taenia والفعل τείνω يعني امتدَّ وطال وفي العربيَّة التنّ سمكة عظيمة ومثلها في اللاتينية thunnus piscis وباليونانية θύννος وبالاسبانية atun وبالايطالية tonno وبالفرنسية thon وبالانكليزية tunny وبالالمانية thunfisch كلها تشهد على صحة هذا التركيب

ولما زادوا على هذه المادة حرفا جاء منها « الاتون » لما يتصاعد منهُ عن الدخان. ومنها ايضًا التنّور الى غير ذلك من المشتقات والفروع التي اذا تتبعناها يتغلغل بنا الكلام الى ما يخرجنا من موضوعنا

فيتحصل من كل ذلك ان لفظة التنين عربيَّة النجار ومعناها: هذا العمود الذي

ياخذ بالامتداد والاتساع على حدّ ما قررناه في مطاوي هـذه النبذة مع ذكر الاسانيد والبراهين . ثم انتقلوا منها بالتشبيه الى حيوانات كبيرة الجسم ثم ابتنوا عليها حكايات غريبة لفّقها الربانيّون كما لفقوا خرافات لا تقدَّر ولا تحصى اساسها شيء زهيد فبنوا عليها ابنية اخترعتها مخيّلتهم الفيّاضة والله اعلم بالحقيقة

في وحدة عشتروت او عشترت والسيَّارة الزهرة

للاديب يوسف اوفرد احد اعضاء الجمعيَّة الكتابيَّة الأثريَّة

ورد في احدى الآجرّ المساريَّة المحفوظة في متحف عاديات لندن انهُ كان لمردوخ إله البابليين اربعة كلاب يلازمونهُ ابدًا ثمَّ ذُكرت اسماؤهم . ومعلوم انَّ مردوخ البابليّ يوافق عند قدماء الكلدان السيَّارة المشتري او جوبتير . فظنَّ بعض العلماء انَّ الكلاب المذكورة هي اربعة من الاقمار التي تدور حول المشتري وهي الأكبر بينها حجمًا فانهُ ثبت الآن بالبراهين الراهنة انَّهُ يتيسَّر لمن خصَّهُ الله ببصر مديد ان يرى هذه الاقمار الاربعة بمجرَّد البصر . فاذا كان والحالة هذه بوسع سكَّان الجزيرة الاقدمين ان يروا اقمار المشتري فلا غروَ انّهم كانوا يعاينون ايضًا تقلّبات الزُهرة لدى نموّها . وهذا ممَّا يكشف القناع عن بعض غوامض تاريخ اديان الساميين الاقدمين

وطالما اخبرتنا كتابات الاشوريين والبابليين ان عشترت او الزُهرة كانت ابنة «سين» اعني الإله القمر فلعلَّ هذه القُربى نجمت عن ظهور الاب والابنة على هيئة هلال ولذلك أُحصيا بين الآلهة ذات القرون . ويُخال ان قدماء العرب او الميناويين جعلوا علاقة وثيقة العرى بين السيارة الزُهرة وبين القمر وظنّوا ان هذه السيَّارة إلهٌ ذكر غير انهم حفظوا اسمها البابليَّ ودعوها عشتر . ويظهر ان البابليين الاكاديين تردَّدوا في جنسيَّة عشتر او الزهرة لأنَّ كتاباتهم تسميها « ديلبة » او « ديلفة » وتقول انها إلهةٌ عند مغيب الشمس وإلهٌ عند طلوعها

ولقد جاء في احد النصوص ان عشتر الأكاديين هي الزهرة عند طلوع الشمس ولكنّها تتحوَّل الى عشتر « إرلك » عند غروبها (١ . واما الكتابة الموابيَّة فانَّها تتكلّم

(١ اطلب Sayce : *Hibbert Lectures*, p. 254

عن عشـتر « كموش » كأنهُ إلهٌ واحد ذكر وانثى . ومن عجيب الاتفاق هو ان الكتابة الفينيقيَّة التي وجدت في مدينة صور تجمع بين بعل ذي القرون وبين عشتروت كأنهما ذات واحدة ضمَّت اليها الوهيَّتين . فاننا نقرأ فيهـا ما يلي « بعليَتَن بن عبد هور كاهن ملك عشتروت » . وكان قدماء العرب سعوا لحفظ جنسي الذكر والأنثى كأنهما مجتمعان في السيارة الزهرة كما كان يعبدها اترابهم في بابل

وكانت السيارة المذكورة حسبما أشرنا اليهِ آنفًا مشـابهةً ومشاركةً للإلهة العظمى عشتر اي عشتروت او عشترت البابليَّة والفينيقيَّة والسوريَّة (١ وهذه المناسبة قد اظهرها حديثًا العالم توادوروس ج . پنشس فانهُ وجد ان كلمة عشتر أتت على صورة عشترا في الكتابات المسماريَّة التي ترتقي الى الفي سنة قبل المسيح . وزد على ذلك ان عشتروت او عشترت ما هي الّا صفة اراميَّة وسوريَّة للاسم عشتر كما ايدتهُ في هذه الاثناء كتابة أُكتشفت في ممفيس حُفرت في القدم اكرامًا لعشترت السوريَّة وقد دُعيت فيها الإلهة باسم عشتر . ولا جرم ان هـذه الكتابة كانت خاصَّة هيكل عشترت في ممفيس الذي ذكرهُ هيرودوتوس واليهِ أشارت كتابة مصريَّة تجدها في المجلد الاوَّل من كتاب لپسيوس (Denkmaeler)

ومن خصائص عشتروت او عشترت ان تكون مزيّنة الرأس بقرنين . والحقُّ يُقال ان هذه الإلهة لُقبت في العهد العتيق وفي الكتابات الفينيقية والقرطاجنيَّة بعشتروت ذات القرنين وهي التي ورد ذكرها في سفر التكوين (١٤ : ٥) والقرنان عبارة عن قمّتي جبل يتوسَّطهما هيكل كما كان هيكل بعل ذي القرنين الذي وقف على اثرهِ المسيو فونتين (Fontain) بالقرب من قرطاجنة . وقل مثـل ذلك في امر قرني أترجتيس المذكور في سفر المكابيين الثاني (١٢ : ٢٦) فكانا قرني عشتروت او ارتميس اعني بهِ هيكلًا شُيِّدَ في فسحة بين رأسي جبل في فلسطين

وبسبب اختصاص عشترت بقرنين وغلط بعض المؤلفين مثـل لوسيان وهيروديان دعا كثير من الكتبة عشتروت إلهةً قمريَّة ولكنَّهم طاشوا سهمًا لان اليونان عرفوها

١) اطلب Comptes-Rendus: Acad. des Inscript. 1902, p. 468 = وجاء في اعمال فيلون الجُبَيلي انَّ اهل فينيقية يعتبرون عشتروت وافروديت كإلهة واحدة « τὴν Ἀστάρτην Φοίνικες τὴν Ἀφροδίτην εἶναι λέγουσι »

دائماً بانها نفس الزهرة. وقد عُبدت في اوقا على صفة نجم. واما عشتر الاشوريين فلم تكن إلهةً قمريّة ولكن نجمة الصبح ثم ان اسم «ديلبة» الذي أُعطي لها موقتاً ومعناه «المبشّرة» يدلُّ جليًا على نجمة الصبح. ومما يُؤيد ايضاً انها كانت الهةً ذات قرنين هو ان الاب شيل لمّا قرأ احدى الكتابات البابليّة المحفورة على قطعة عمود وجد رسم عشتروت على هيئة بقرة ذات قرنين. ولهذا الامر علاقة عظيمة مع صورة التقادم النذريّة التي أُلقيت في هياكل عشتروت الفينيقيّة وفي جزائر الباليار فكلّها تمثل رأس بقرة كبيرة القرنين ولهذا كان يظنّ اليونان ان عشترت تسيح في البلاد وانها على مثال الإلهة اوروبّة التي يصوّرونها ممتطيةً في سياحتها ثوراً. وهذا الثور هو الحيوان البابليّ المذكور في قصص «انو» احد اقارب الالهة عشتر كما ورد في حكاية كَشدبار

ويعلم القرّاء ما كان من الاتحاد بين عبادة عشتر او عشترت وأفروديت وما كان يجري فيها من المنكرات والقبائح. وقد اجتمع في عشترت وأفروديت امران متباينان وهما الجمال والحرارة ولربّما وُجدا ايضاً في الزُهرة نجمة الصبح لأنها الهة الطلّ والرطوبة والخصب والحرارة. والحرارة هذه تبعث بها اشعّة الشمس لاسيما في الهاجرة. واما الزهرة فانها كانت خادمةً للشمس لا تفارقها ابداً

فلا مشاحّة اذن ان عشتروت هي نفس السيّارة الزهرة وما اوردناهُ من البراهين ينفي كل رأيٍ يناقض رأينا. اما هيئة الهلال فانها اتُخذت من صورة النجم عند طلوعهِ فانهُ حينئذٍ يحاكي الهلال فلما عاينهُ اذ ذاك عبدة الالهة اطلقوا عليهِ اسم الهلال وقد ادّى جهل هذه الحقيقة الكتبة الذين اشرنا اليهم آنفاً الى تعداد عشتروت بين الآلهة القمريّة. ولا غروَ انهُ بسبب نقاوة هواء بلاد الكلدان كانت تقلّبات الزهرة تظهر للعيان وعليهِ كانت عشتر اي الزهرة المشبّهة بعشتروت ذات القرنين كعدد عديد من متصوّرات البشر عبارةً عن رمز ما واما القرنان فانهما يشيران الى ما يوجد من العلاقة بين نجمة الصبح واسم الالهة المذكورة

اثر ضائع للامام الغزّالي

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

لا حاجة الى الاطالة في تعريف الامام ابي حامد الغزّالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ (١١١١م) الملقَّب بحجّة الاسلام . والعلماء يقبلون على مصنّفاتهِ اقبالًا عظيمًا لاسيما كتبهُ الفلسفيّة . وللامام الغزّالي شعر قليل واكثره ضائع فممّا وقع في يدنا منهُ آخرًا في مجموع طرائف ادبيّة مخطوطة قصيدة جعلها على لسانهِ ميتًا كانهُ يناجي من العالم الآخر اصحابهُ فيذكر لهم ما صار اليهِ من افراح الجنّة بعد دار الشقاء

قُل لاخوانٍ رأوني ميتًا فبكوني ورثوني حُزنا
أعلى الفائتِ مني حزنكم او على الحاضر معكم هاهنا
اتظنون بأني : بينكم ليس ذاك الميت والله انا
انا في الضوء وهذا جسدي كان بيتي وقميصي زمنا
انا درٌّ قد حواهُ صدفٌ كان سجني فطرحت السجنا
انا كنز وحجابي طلسمٌ من ترابٍ قد تخلّى للفنا
انا عصفور وهذا قفصي طرتُ منهُ وبقي مرتهنا
احمد الله الذي خلصني وبنى لي في المعالي سكنا
كنت قبل اليوم ميتًا بينكم فحييتُ وخلعت الكفنا
وانا اليوم أناجي ملأً وارى الله جهارًا علنا
عاكفًا في اللوح اقرا وارى كل ما كان ويأتي او دنا
وطعامي وشرابي واحد هو امنٌ فافهموه حسنا
ليس خمرًا سائغًا او عسلًا لا ولا ماء ولكن لبنا (١
فافهموا السرّ ففيهِ نبأٌ ايّ معنى تحت لفظي كمنا
واهدموا بيتي ورضّوا قفصي ودَعوا الطلسم في دار الفنا
وقميصي مزّقوهُ رممًا وذرُوا الكل دفينًا نتنا
قد ترحلت وخلفتكمُ لستُ ارضى داركم لي سكنا

١) كنى باللبن عمّا يتمتّع بهِ من الافراح السماويّة

لا تظنوا الموت موتاً انهُ | لَحياة وهو غايات المنى
حيٌ ذا العيش بعيش نكدٍ | فاذا مات سُلبنا الوسنا
لا تَرُعكم هجمة الموت فما | هو الّا نقلُ من هاهنا
فاخلعوا الاجسام عن انفسكم | تجدوا الحق جهاراً عانا
أحسنوا الظن برب راحم | تشكروا السعي وتأتوا أُمنا
وخذوا في الزاد جهداً لا تنوا | ليس بالعاقل منّا مَنْ وني
ما ارى نفسيَ الّا انتمُ | واعتقادي انكم انتم انا
عنصر الانفس منا واحد | وكذا الاجسام جسماً عمّنا
فمتى ما كان خيراً فلنا | ومتى ما كان شرّاً فبنا
فارحموني ترحموا انفسكم | واعلموا انكمُ في إثرنا
اسأل الله لنفسي رحمةً | رحم الله صديقاً أمّنا
وعليكم من سلامي طيبٌ | وسلام الله يبدو وثنى

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

وممَّن اشتهروا ايضاً بالآداب والنظم بين النصارى في مفتتح القرن التاسع عشر القس حنانيًا منيَّر الزوقيّ (١ الذي ذكرناهُ في باب التاريخ (ص ٤١٣). فانهُ برع

١) افادنا حضرة القس الفاضل جرجس منش الماروني انَّ اسرة القسّ حنانيًا منيّر (بكسر الياء المشدَّدة كما هو المتداول بين الحلبيين او بفتحها كما هو الغالب في لبنان اشارة الى صنعة النير او من بيع النسيج المنيَّر) اصلها من حلب ثمَّ هاجرت الى لبنان فاستوطنت الزوق في تضاعيف القرن الثامن عشر في جملة الاسر التي خرجت من الشهباء في ذلك العهد وفي اوائل القرن التاسع عشر فرارًا من شر الاضطهادات التي اثارها المنفصلون على ما ذكره روفائيل مخلوطا المعروف بالمالي وغيرهُ من كتبة ذلك الزمان. ثمَّ انقرضت اسرة المنيّر من حلب فلم يبقَ منها احد بعد ان كانت نامية متعدّدة الافراد. ويؤخذ من سجلّ مواليد الملكيين الكاثوليك في حلب انَّ هذه الاسرة انقسمت الى ثلاثة بطون عُرف الأول منها بالمنيّر على الاطلاق والثاني غلب عليهِ لقب الحكيم من جدّها ابراهيم

ايضاً في الفنون الادبيَّة فمن ذلك مجموع امثال لبنان وبلاد الشام يبلغ نحو ٤٠٠٠ مثل وكتاب مقامات بديعة جامعة بين فصاحة الالفاظ وبلاغة المعاني (المشرق ٤: ٩٧٣) هذا فضلًا عن كتاب في شرح عقائد الدروز طبعهُ المسيو غويس (Guys) في باريس ونقلهُ الى الفرنسويَّة. أمَّا شعرهُ فلم نحصل منهُ الَّا على بعض مقاطيع روينا بعضها سابقاً (المشرق ٤: ٩٧٠ — ٩٧٢) منها قصيدتهُ الرنَّانة التي قالها في تهنئة سليمان باشا لما اتى عكَّا ليتولَّاها بعد وفاة الجزَّار. اوَّلها:

لِهوى الاحبَّة في الفؤاد مخيّمُ   نيرانهُ بين الجوانح تُضرَمُ

ومنها: صيدا ابشري عكَّا افرحي حيفا اطربي   والقاطنون جنًى فليترنَّموا
كن يا سليمان الوزير مؤازرًا   للخاضعين وجارمًا من يجرموا
واعظم وسد وارحم وعُد وانعم وجُد   واسلم ودم بسعادةٍ لك تخدم

وختمها بهذا التاريخ:

واذا اتى شعري بمدحك مرَّةً   ارَّختُ يبدأ مدحك لا يُختم

وممَّا قالهُ في الزهد والدعاء قولهُ في مقدَّمة تاريخهِ الرهباني

اني لفي عظم الوجلْ   من قُرْب ايام الأجلْ
من بعدهِ لا بُدَّ ما   يمروني في الدين الخجلْ
اذ انني قضَّيتُ عمري   بالملاهي والبَجَلْ
والحكم لم يُقبَل بهِ   عذرٌ ولم ينفع وجلْ
ألجا لعونك مربَّا   فأعطفي نحوي النَجَلْ
وتشفَّعي بي يا بتو   لُ وأدركيني بالعجلْ

المتبّر الحكيم ويظنّ حضرة مكاتبنا انّ القس حنانيا تنقّب بالطبيب اشارةً الى لقب هذا الفرع بالحكيم ليس كما ذكرنا (المشرق ٤١٤) لمزاولتهِ فنّ الطبّ. والثالث غلب عليهِ لقب ارميا من جدهم عبد الله بن ارميا من بيت المتبّر. وممَّا ذُكر من موالید هذه الاسرة جرجس بن توما ويوسف بن الياس (بن المتبّر) وزينب بنت ابراهيم (المتبّر الحكيم) وعبد الله بن ارميا (من بيت المتبّر) في سنة ١٧٣٥ وجبرائيل بن منصور (١٧٣٦) وكاتيا بنت نعمة (١٧٣٧) وجرجس بن ارميا (١٧٣٨) وسارة بنت يعقوب (١٧٣٩) ويعقوب بن جبرائيل وجرجس الآخر بن ارميا (١٧٤٠) وتريزيا بنت توما (١٧٤٢) وسيدة بنت جبرائيل ونعمة الله بن توما (١٧٤٣) ويوسف بن منصور (١٧٥٧). وليس غير ذلك في السجل الملكي. وكذلك عُرف من افراد هذه الاسرة القس بولس (ولد عيسى المتبّر) الذي خدم ابرشيَّة حلب الملكيَّة الكاثوليكية واوقف بعض المخطوطات على مكتبتها في آخر القرن الثامن عشر

ولمّا توفي الجزّار سنة ١٢١٩ (١٨٠٤ م) وكان بالغ في الظلم وجنح الى العصيان وضع كلّ شعراء ذلك العصر من مسلمين ونصارى قصائد هجوهُ فيها وارّخوا وفاتهُ (اطلب المشرق ٢ : ٢٣٨) فقال القس حنانيًا اياتًا اثبتها في آخر تاريخهِ للشوف ورواها الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ (المشرق ٤ : ٩٧٠)

ومن رثائهِ قصيدة قالها في البطريرك اغناطيوس صرّوف لمّا قتلهُ الياس عماد سنة ١٨١٢ اوّلها :

علامَ دمعي من عيوني يُذرفُ   والامَ لا يرقا ولا يتكفكفُ
هل كابدت كبدي لظىً لا ينطفي   ام في الحشا جذوةٌ نارٍ تنطفُ

ومنها في مدح الفقيد :

يا شمس افق الشرق ذاع ضياؤهُ   في الغرب انّى شمس فخرك تكسفُ
يا راس كهنة بيعة الله التقي   رُقِيَ انت ايضًا في الاعالي اسقفُ
اوّاهُ وا اسفي ولوعاتي على   مَنْ كلُّ من يدري بهِ يتأسّفُ
قسمًا فلو يُفدى لكنتُ فديتهُ   بالروح مرتاحًا ولا اتوقّفُ

وكان القس حنانيًا يتفنن بالنظم ولهُ قصائد بالشعر العاميّ غاية في اللطف منها قصيدة في الخمّارة والعرق لم نحصل عليها . وهو الناظم للقصّة الشهيرة المعروفة بالبرغوث كنّا اثبتناها اوّلًا في كتابنا علم الادب سنة ١٨٨٦ ثمّ وجدناها كما كتبها القسّ حنانيا وهي اوسع واظرف ممّا نشرناهُ وهذه هي القصيدة كما وقفنا عليها في كتاب مخطوط من ايّام المؤلف وفي اخرها اسمهُ :

١ اعدّ بيوت مع قصدانْ   واخبركم بما قد كانْ   طول الليل وانا قلقانْ
واصبح جلدي كالجربانْ

٢ جا البرغوث وانا نائم   وصار على صدري حائم   وقال لي من شهر بن صائم
في حسابي خاص رمضانْ

٣ قلتلو لا تجادني   علامك انت تكاربني   بالله عليك لا تعبني
كل النهار وانا تعبانْ

٤ قال لي ليس انا جمّك   ان كان سرّك او غمّك   عشاي الليلي من دمّك
وبكرا يفرجها الرحمانْ

٥ قلت يابرغوت انا بداريك   وبين الناس انشد فيك   روح لغيري يمشيك
واتركني الليلي نعسانْ

٦ قال لي ما هو عاكيفك   وعلليلي انا ضيفك   عيب عليك يا حيفك
اكون عندك وابات جيعانْ

٧ لا تحسب اني جابك يجي وبدخل في عبابك بدور حول جنابك
ان كنت نائم او سهرانْ

٨ قلت يا برغوت اسمع مني وهاليلي ارجع عني ودعني راقد متهني
يبقى لك عندي احسان

٩ قال لي شوارك مرذولة وعندي ما هي مقبولة ومواعيدك هي مجهولة
وعمري ما بصدّق انسانْ

١٠ قلتلُو وياك يا عقوق لا يا اسود يا ممحوق بتخدعني وما عندك ذوق
وعجزك عن قريب يبانْ

١١ قال انا بالعين صغير ولي في الليل فعل كبير انا ما بفزع من وزير
ولا من حاكم ولا سلطان

١٢ بتعيرني بسوادي وانا اليوم لك معادي لأجيك انا واولادي
وبعلمك فعل السودان

١٣ قلتلو ما انا بجمعك ولا اولادك ولا اولاد عمك لاحرق ابوك مع امك
وبناتكم مع الصبيانْ

١٤ قال بخليك حتّى تنام اجيك انا واولادي قوام لمّا تلبس ثوب الحمام
وعن مسكي تبقى عجزانْ

١٥ وحالا بتصير تتقلّب وانا في جلدك مكلّب وانت تبقى متقلب
بصبغ جلدك والقمصان

١٦ قلت يابرغوت ان كنت عاتق امتحني وانا فائق وضوء الشمس يكون شارق
لننظر من هو الغلبان

١٧ قال انا بالنهار بصوم بقضيها إرتياح ونوم عند غياب الشمس بقوم
وادور حول اليقظان

١٨ وان صار لي بالنهار فرصة لا بدّ ما اقرص لي قرصة ولولا خوفي من جرصة
ما كنت بسيّب انسان

١٩ قلت الرهبان لا تترجم والشرير محارجم روح عنهم لاتتذجم
بكفاهم شر الشيطان

٢٠ قال الراهب هو ملزوم بالسهر والصلا والصوم لئلا يتمادى بالنوم
ما هو مليح يكون كسلان

٢١ وانا من بوبي بجبُه يجي وبدخل في عبُه كي يقوم يعبد ربُه
ويطلب للعالم غفران

٢٢ وانت إما فيك تربطني وانا ربي مسلطني ولمّا بدّك بتلقطني
بصير بقز كالغزلان

١٣ وبعرف لمّا بتمسكني ما بتصور تتركني حالا بتصير تفركني
وفي قتلي بتبقى شمتان

١٤ وانا في اول الليل بتصيّد بقوة مع حيل وبصير بركض متل الخيل
وعا صدرك بعمل ميدان

١٥ قلت يا برغوت يا محقور حقًّا من جنسك مقهور لا بد ما اعلّك تثور
واحميه بالشوك والبلان

١٦ قال لي كلامك كله فشار قرايبي واولادي كتار وتربّوا عند الجزّار
وتسلّطوا على البلدان

١٧ وعلى ايش حتّى تحرقني حيث ربّي خالقني وانا الدم يوافقني
وطالب من دمك فنجان

١٨ قلت يابرغوت بالك فاضي وعليك ما انا راضي لا بد إشكيك للقاضي
واخرج في قتلك فرمان

١٩ قال حكم القاضي انا عاصيه ومن يومي انا معاديه وفرمانه لا يعمل فيّ
وعليّ ما له سلطان

٢٠ قلت يا برغوت قلبي كارك واهديني لباب دارك قصدي اقطع جدارك
واحرق نسلك بالنيران

٢١ قال لي امشيه بقلبك وعلى باب داري بدلّك حتّى ادخل في ظلك
وارقّصك رقص السعدان

٢٢ قلت يابرغوت صدقة عنك عرّفني طريق فنك وكيف بقدر خلص منك
صرت في امري حيران

٢٣ قال ان كان تعرف فني طاوعني واسمع مني انا نصيحك أمنّي
قصدي خيرك يا انسان

٢٤ كلّس بيتك في طيون ورشه بزوم الزيتون وخليه انضف من ماعون
وطينه بتراب ولفان

٢٥ وثيابك قبال ان تلبسها برغتها او شمّسها وارض الدار كنّسها
كذلك اعمال بالدكان

٢٦ لمّا يصيبك شوبك عند النوم غير ثوبك ما احد يجي صوبك
وعلى التخت افرش ونام

٢٧ هذا ما قد صار فيّ عند السهرا من عشيّ وكان في بدء الصيفي
في آخر يوم من نيسان

(تمّت القصّة من القس حنانيا منيّر)

*

وكذلك اشتهر بين شعراء ذلك الدهر المعلم الياس اده وكان مولدهُ في قرية اده من اعمال جبيل سنة ١٧٤١ وتوفي في بعبدا سنة ١٨٢٨ وهناك ضريحهُ وقد صحب الامراء الشهابيين ومدحهم لاسيما الامير يوسف والامير بشير وكذلك خدم مدةً احمد باشا الجزار في عكّا حتى هرب منهُ خوفاً على نفسهِ. وقد اتسعنا في المشرق (٢: ٦٩٣ و٧٣٦) في ترجمة الياس اده واعماله وشعرهِ فلا حاجة الى الاطالة. ومما وقفنا لهُ بعد ذلك من الآثار الادبيَّة مجموعة ذات ٢٣٥ صفحة ضمَّنها نخبةً من اقوال الادباء والعلماء واللغويين جمعها وهو في حلب الشهباء سنة ١٢٠٧ (١٧٩٢ م) وسمَّاها «الدرّ الملتقط من كل بحر وسفط» وجدنا منها نسخة تاريخها ١٢٤٧ (١٨٣١م) وهي عند احد ادباء عينطورة الخواجا جاماتي. وللمؤلف في وصف هذه المجموعة قولهُ:

اذا نظر الرائي اليها يخالها رياضاً بها زَهْرٌ وزُهْرٌ زواهرُ
عرائس يجلوها عليك خدورها ولكنَّها تلك الخدورُ دفاترُ

ومما لم نذكرهُ من شعرهِ قولهُ في وفاة الشيخ سعد الخوري سنة ١٧٨٥:

لا ريب بعد السعد لا شيء فاخرُ وقد قُرِّحت بالدمع منَّا المحاجرُ
لقد غبت يا شمس الكمال فأرعدتْ فرائصنا والحزنُ للقلب فاطرُ
وفاضت مياهُ الدمع منَّا لما لنا وحتَّى قلبٌ بعد فقدك صابرُ
وليل الشقا فينا اكفهرَّ ظلامهُ وضاقت علينا بالفراق السرائرُ
لتبكِ المعالي بعد بُعدك حسرةً كما لبستْ ثوب الحداد المفاخرُ
أبا لوذعيًّا كان للدهر سيدًا ومن كفّهِ للجود هامٍ وهامرُ
عليك من الرحمان اضعافُ رحمةٍ ورضوانهُ ما ناح في الروض طائرُ
وما قال بالاحزان فيك مؤرِّخٌ فلا ريب بعد السعد لا شيء فاخرُ

ولهُ كذلك قولهُ يصف انواء وزوابع حدثت في ٢٥ كانون الثاني من السنة ١٢٢٨ و(١٨١٣):

هاجت رياحٌ بالشمال تجولُ فتمسَّدت ريحُ الجنوب تصولُ
وتكافحا حتَّى كأنَّ هبوبها فرسانُ حربٍ اقبلت وخيولُ
وغدا الضبابُ على الهضابِ معمَّماً قمم الجبال كانهُ الاكليلُ
نحرت سيوفُ البرق اعناق الغما م فسال منهُ دمهُ المطلولُ
وتراحمت فرق السحابِ وقد بدا للرعد في وسط الغيوم صهيلُ
ما زالت الانواء يخبط جيشها حتَّى علا نور الضياء افولُ

والشمس قد كُسفت ببلخ محرَّمٍ | وعقيب هذه الكسف جاء سيولُ
وتعاظم النَّوْ الشديد وقد اتى | صفرٌ بفرَّتهِ الرياحُ تدورُ
وبثالث منهُ اتى في جمعةٍ | ثلجٌ يعمُّ على البطاح مهولُ
متكبكبٌ متطفّف يومان مع | ليلٍ تواصل هطلهُ الموصولُ
عمَّ الجرود وكذا الوسوط سويةً | وتعممت منهُ الربى وسهول
فه كم من انفس هلكت وكم | غصنٍ رطيبٍ قد علاهُ ذبولُ
ولفرط عظمتهِ وشدَّة بردهِ | دُهشت بهِ ابصارنا وعقولُ
ولازم الناسُ البيوت مخافةً | يومين كلٌّ بالتقى مشغولُ
وتصايحت تلك الخلائق بالدعا | فه فهو الحافظُ المسئولُ (لهُ بقيَّة)

اقاصيص قبائل الطاط

للاديب ر. يلبون

في القفقاز قبائل متفرّقة من المسلمين منها ايرانيَّة ومنها تتريَّة ومنها منغوليَّة او تركمانيَّة. ولكل هذه القبائل لغات شتَّى يسعى في يومنا علماء الروس في درسها وتعريف خواصها. فممَّا درسوهُ اخرًا لغة قبيلة تُدعى الطاط يسكن ذووها في جهات باقو. ولغتهم من فروع اللغات الايرانية. ومن مميزاتها أنّها حافظة كثيرًا من خواصّ الفارسيَّة القديمة. والدكتور ميلّر (١ قد ألّف في هذه اللغة كتاباً جمع فيهِ نصوصاً متعدّدة نقليا عن لسان اصحابها ورتّب مفرداتها على شكل معجم ونشرها في جملة مطبوعات مكتب لازاريف في القسم ٢٤ منها. وليس في فكرنا ان نشرح هنا خواصّ تلك اللغة الطاطيَّة وانَّما ننقل عن كتاب الدكتور ميلّر بعض الاقاصيص التي رواها ليرى القرَّاء العلاقة بينها وبين الحكايات الدارجة في هذه البلاد

﴿ الحكاية الاولى ﴾ كان بهلول رجلًا حكيماً يقصدهُ العلماء لحكمتهِ وعلمهِ. وكان يسكن في بيت شاهقٍ ذي اربع طبقات فكان لا يصعد الى سطحهِ

---

١) وهذا اسم كتابهِ
TATSKIE ETOUDI : TEKSTI I TATSKO-RUSSKIN SLOVAR. Vs. Millera, *Moskva*, 1905, pp. 79.

الأعلى الّا بعد شقّ النفس. فيوماً ما نزل المطر وتوكّف السطح فعلاهُ بهلول ليصلحهُ بالمحالة (المحدلة) واذا بفقير في اسفل الدار يصرخ الى بهلول: هلمّ انزل فان لي اليك كلاماً. فظن بهلول انّ لمستدعيهِ سرّاً يطلعهُ عليهِ فنزل كاسف البال وتقدَّم الى الفقير فلمّا رآه هذا قال: ارجوك حبًّا بالله ان تكرم عليّ بدانق لابتاع لي خبزًا فاني جائع وليس في يدي ما احصل بهِ على قوت ليلة. فسكت بهلول ثمّ كرَّ راجعاً على عقبهِ وصعد الى السطح فلمّا بلغهُ ادخل يدهُ في جيبهِ كأنهُ يطلب ما يتصدَّق بهِ على الفقير ثمّ دعاهُ قائلًا: هلمّ ارتقِ الى السطح. فصعد الفقير متثاقلًا حتى اذا قرب من بهلول قال لهُ: ما الامر. فاجاب بهلول: لا شيء والله يعطيك. فلمّا سمع الفقير هذا القول غضب ثمّ التفت الى بهلول قائلًا: ويلك أما كان يمكنك ان تقول لي من السطح: «الله يعطيك» ولا تحوجني الى هذه الطلعة المتعبة. اجاب بهلول: وأنت أما كنت تستطيع ان تطلب حاجتك من اسفل الدار دون ان تضطرّني الى النزول. فاذكر المثل «ما يزرعهُ المرء يحصدهُ» فخجل الفقير وذهب الى سبيلهِ

﴿ بهلول ويحيي البرمكيّ ﴾ خرج الوزير يحيي البرمكي يوماً الى ارباض البلد لترويح البال فسار حتّى بلغ مكاناً قفراً فرأى واذا بهلولٌ جالس وحدهُ على الرمل وامامهُ ثلاثُ جُثىً من التراب فسألهُ يحيي: ما هذا وما معنى هذه الاكوام. قال بهلول: هذه كُوَم من الرمل عبّأتها — ولايّ سبب؟ — لي فيها حاجة — وما حاجتك؟ — هذا سرّ لا اقولهُ — ناشدتك الله الّا قلتهُ — كل كومة حكمة لا ابوحُ بها الّا بمئة دينار فان شئت أدّني حقّها. وكان الوزير يحيي يعلم بانّ حِكَم بهلول نافعة قد اختبر مفعولها غير مرّة فقال لهُ: دونك مئة دينار واذكر الحكمة الاولى. فخرب بهلول احدى الكوم وقال: لا تكشفنّ سرّك الى امرأة — ثمّ دفع لهُ الوزير مئة دينار اخرى وقال لهُ: خذ هذه ايضاً وأفدني الحكمة الثانية. فاخذ بهلول الدراهم وقال: لا تثقْ بمالك البتّة. ثمّ اعطاهُ الوزير ثالثةً مئة دينار وطلب الحكمة الثالثة. فقال بهلول: ايّاك ايّاك ان تركن الى خدمة الملوك. قال هذا ثمّ اخذ الدراهم والقاها في الماء. امّا الوزير فانّهُ عاد الى بيتهِ وبقي مدّةً حتّى اذا كان احد الأيام وهو في حديقة الملك رأى بين ماشيتهِ تيساً كبيرًا فاخذهُ واتى بهِ بيتهُ واخبر امرأتهُ بما فعل. ثمّ ذهب سرّاً وابتاع لهُ جديًا ولم يخبر امرأتهُ بهِ. فبعد ايّام عمد الوزير الى الجدي فذبحهُ وألقى براسهِ وأطرافهِ في النهر

وأتى بلحمهِ الى البيت واوهم امرأتهُ انهُ التيس فطلب منها ان تُصلحهُ وتشويهُ لانهُ قرمٌ الى لحم التيس. ففعلت المرأة واكلا اللحم وشبعا. وفي اثر ذلك بايام حصل بين الوزير وامرأتهِ نفورٌ فتخاصما فصرخت المرأة: بئس الرجل انت وقد سرقت تيس الملك. فسمع الجيران كلامها واخبروا الشرط الذين كان الملك امرهم بطلب تيسهِ. واعلم الشرط الملك بسارق التيس. فاستدعى الملك وزيرهُ وبكّتهُ على فعلهِ وأمر الجلاد بقطع رأسهِ. فجعل يحيي يبكي ويستغفر الملك الى أن قال لهُ: أبقني ابقاك الله وها اني اترك لك كل مالي وثروتي بدلًا من التيس. لكنَّ الملك لم يرضَ بذلك وصمّم على نيّتهِ بقتلهِ ان لم يُرجع ما سرقهُ. فقال الوزير: ايها الملك ان كان قلبك تغيّر عليَّ فاطردني من خدمتك ولكن لا تقتلني في حقّ تيسٍ واحد. فقال الملك: كلّا إمّا التيس وإمّا رأسك لا مناصَ من احد الامرين. فقام الوزير حينئذٍ وقال: ابقى الله رأس الملك انَّ التيس لا يزال حيًا فأرسل من يأخذهُ وانا اشكر الله الذي اثبت لي صحّة ما قالهُ لي بهلول الحكيم: ايّاك ان تسلّم بسرّك الى امرأة ولا تثقنَّ بمال ولا تركن الى خدمة ملك

❁ بهلول والتاجران ❁ قدم يومًا احد التجّار على بهلول فقال لهُ: أيُها الحكيم هَبْني مشورة صالحة انتفع بها فقال لهُ بهلول: اذهب وابتع لك ملحًا تنلْ بهِ ربحًا. فجرى التاجر على مشورتهِ وما لبث ثمن الملح ان تصاعد حتّى انَّ التاجر باع ملحهُ باربعة اضعاف ثمنهِ واغتنى بهِ. فعرف الامر تاجر آخر فجاء الى بهلول وهو يعدُّه كمجنون فقال لهُ: يا بهلول الاحمق اعطني انا ايضًا مشورةً صالحة تجديني نفعًا. فاجابهُ بهلول: اذهب وابتعْ لك بصلًا واحفظهُ الى الربيع فتبيعهُ. ففعل الرجل واودع البصل في دهليز واقفل بابهُ الى ان جاء الربيع فنزل الدهليز واذا ببصلهِ قد انبت ولم يعد يصلح لشيءٍ. فذهب من ساعتهِ الى بهلول وشكا اليهِ حالهُ قائلًا: ما لك اشرت على رفيقي بمشورة صالحة نال منها ربحًا طائلًا وانا بئس النصيحة أعطيتنيها خسرتُ بسببها مالي. فقال لهُ: استجهلتني وعيّرتني حمقي فوزنت لك بوزنك. اعلم بذلك انَّ المرءَ بالكيل الذي يكيل لغيرهِ يُكال لهُ

❁ بهلول والسارق ❁ تعدَّى يومًا احد الاشقياء على بهلول فاخذ منهُ قبعتهُ وهرب منحدرًا الى جهة النهر فسكت بهلول وسار في وجههِ الى اعلى التلّ حيث كانت المقبرة فجلس على بابها. وفيما هو هناك رآهُ قومٌ فقالوا لهُ: ويحك انَّ الذي سلب قبعتك

هرب الى اقصى البلد منحدراً وانت صعدتَ الى هنا فاذهب في اثره واستردّ مالك. فقال بهلول: كلّا بل انتظره في باب المقبرة اذ لا بدَّ له عاجلاً او آجلاً يُنقل اليها فأسترجع منهُ مالي

﴿ لصّ الليل ﴾ جاء لصٌّ الى بيت بهلول ليلاً وكان بيتهُ خاوياً خالياً لا شيء فيهِ. فلمّا دخل البيت وهو يؤمل غنيمةً واسعة مدَّ بساطاً كان معهُ ليضمّ فيهِ ما ينهبهُ. فسمعهُ بهلول وهو راقد على الحضيض فتناوم. ثم اندسَّ رويداً رويداً الى البساط فاتّخذهُ لهُ فراشاً. امّا اللصّ فكان يفتّش في البيت ما يسرقهُ ولم يجد شيئاً حتى اسرج سراجاً فرأى انَّ البيت انقى من راحة واجرد من صخرة ونظر الى البساط واذا صاحب البيت نائم عليهِ فخاف من أن يوقظهُ فيعلم الناس بامرهِ وهمَّ ان يخرج. فالتفت اليهِ بهلول قائلاً: ما لك لا تحمل حملك. قال اللصّ: ويلك وما اصنع بك وانت افقر من العريان. قال بهلول: ارجوك اذن إن اتيت بيتي مرّةً اخرى ان تكرم عليَّ بغطاء كما وهبتني هذه المرّة بساطاً فيكمل بذلك معروفك

﴿ قلنسوة نصر الدين ﴾ تقلنس نصر الدين بقلنسوة جديدة ابتاعها بثلاثين درهماً وخرج الى شغله فرآهُ رجل واستظرفَ قلنسوتهُ وقال: بالله عليك يا مولاي كم اشتريت هذه القلنسوة. فاجابهُ على سؤالهِ ثم سار بضع خطوات واذا بثانٍ ثم ثالث ثم رابع وكلٌّ يسألهُ عن ثمن القلنسوة فاستثقل الامر واخذ قلنسوتهُ بيدهِ ثم سار الى السوق وجعل يصرخ باعلى صوتهِ: يا قوم هلمّوا الى ساحة المدينة فانَّ لنائب الملك كلاماً يريد تبليغهُ الى مسامعكم. فتقاطر الناس وتزاحموا في الساحة فجاء نصر الدين وصعد على صقالة ثم كشف قلنسوتهُ عن رأسهِ وقال: يا ناس اعلموا وتحقّقوا انَّ القلنسوة التي ترونها في يدي يساوي ثمنها ثلاثين درهماً. فاستغرق السامعون من الضحك وعادوا الى شغلهم وتخلّص نصر الدين من لجاج السائلين

﴿ نصر الدين والقِدْر الميّتة ﴾ دخل نصر الدين على احد جيرانهِ فاستقرض منهُ قدراً يطبخ فيها طعامهُ. فاعطاهُ الجار بعد العنت قدراً وسطاً. فلما انتهى نصر الدين من عملهِ اخذ قدراً صغيرة وجعلها في بطن القدر المستعار فاعادها الى صاحبها. فقال هذا: ويلك أقرضتُك قدراً واحدة فما هذه القدر الصغرى. قال نصر الدين: اعلم يا صاح ان قدرك قد خلّفتَ فاتيتك بها وبصغيرها. ففرح الرجل واخذ القدرين. وبعدها

أيام جاء نصر الدين الى جارهِ وطلب منهُ قدراً كبيرة. فاسرع الى قضاء حاجتهِ بكل فرح وهو يؤمل ان يكون مولودها اكبر. ثم بقي ينتظر يوماً و يومين فلم يَعُد اليهِ نصر الدين. فذهب الى بيتهِ يطلب قدرهُ. فقال نصر الدين: واأسفاه على قدرك فانها ماتت. قال الرجل: ويلك أتموت القدر. قال نصر الدين: وما لها لا تموت ؟ ألم تصدّق بولادتها لمّا خلّفت فكيف لا تصدّق بموتها ؟

﴿ حمق الذئب ﴾ اصاب الجوع ذئباً فسار في غابة يطلب قوتهُ واذا هناك حمار يرعى. فقال لهُ الذئب: ابشر ايها الحمار فاني الى لحمك قرم. قال الحمار: نعماً ولكن كيف تجهل انّ لحم الحمار يضرّ آكلهُ الّا اذا أُكل عند الصباح بعد النوم والحمية. فهذا قول الاطباء قد أيده الاختبار مراراً. قال الذئب: صدقتَ فاذهب وائتني بفراش حتّى انام الى الصباح ثمّ آكلك فيهناً لي طعامي. قال الحمار: لبيك سيّدي ثمّ فرّ من بين يديه شاكرًا ربّهُ على خلاصهِ من ذلك الوحش الضاري. امّا الذئب فانتظر ساعات عود الحمار الى ان تحقّق بانّهُ خدعهُ وافلت من يدهِ. فامتعض من صنعهِ وسار في طريقهِ يطلبُ رزقهُ من وجه آخر وكاد الجوع يقتلهُ. فرأى في طريقهِ جدياً فصرخ بهِ عن بُعد: هلمَّ ايها الجدي فاني في حاجة الى لحمك — قال الجدي: انك تشرّفني باكلك لي. ولكن تذكّر انّ لحم الجدي أطيب ما يكون ان يؤكل ببقول ومخلّلات فدعني آتيك بشيء منها فيصبح طعامك مريئاً. قال الذئب: نعم هذا صحيح وقد سمعتُ بهِ غير مرّة فاذهب وائتني بشيءٍ من الخضر فتكون كادم انتدم بهِ مع لحمك. ولكن ايّاك أن تتأخر عن المعاد والّا دعوتُ عليكَ كل دعوة سوء. قال الجدي: هيهات سيدي ان يطول انتظارك وأفرغ دبرك. قال هذا ثمّ عاد مسرعاً الى حظيرة الغنم تحت رعية الرّعاة وفي حراسة الكلاب فبقي الذئب ينتظر وهو يحمر تارة الى اليمين وتارة الى الشمال حتّى عيل صبره وعرف بخدعة الجدي فقال في نفسهِ: ما اسوأ حظّي وها اني قد خُدعت مرّتين. أفلت الحمار من يدي وهاءنذا بالجدي قد ضحك مني ومكر بي فماذا يقول عني رفقتي. والله لا ادع مرّة اخرى وحشاً يخاتلني ويغشّني. ثمّ جرى في طريقهِ وهو ساغب غرثان يضمر السوء لمن يلقاه من انس او جنّ حتى وصل الى شطّ البحر واذا هناك جاموس في مقصبة غائص في الحمأة. فصرخ الذئب صرخةً ارتعدت منها فرائص الجاموس فعلم انّهُ ميّت لا محالة إن لم يجد حيلةً للخلاص. فقال لهُ الذئب: ائتني مسرعاً

فآكلك والّا هجمتُ عليك فقطّعتك شذر مذر. قال الجاموس: انّ عبدك بين يديك فها؛نذا مطاوع لامرك. ولكن تبصّر سيّدي بثوبي كيف هو متّسخ بالحمأة والاقذار افتأكاني هكذا وتضرّ نفسك بوخامة المأكل. فان كنت عاقلًا تركتني ادخل البحر فاغسل بدني ثم اعود اليك نظيفًا فتأكاني هنيئًا مريئًا — نعم الرأي رأيك فاغتسل واخرج سريعاً. فطفر الجاموس في البحر وجعل الذئب ينتظرهُ فبعد ساعة صرخ اليهِ: ويلك متى تنتهي من الاستحمام. قال الجاموس: انّ اغتسالي طويل فتمهّل. فبعد ساعة أُخرى صاح وضجّ بالصياح لكنّ الجاموس لم يُبدِ حراكًا. فاراد الذئب ان ينزل اليهِ في الماء فقلبتهُ موجةٌ على وجههِ فخاف من الغرق ونكص على اعقابهِ ثم لعن الجاموس وارتحل متنمرًا من الغيظ متضوّزًا كاد الجوع يصرعهُ. فانتهى الى مرجٍ وانطرح عليهِ ليأخذ نصيبًا من الراحة واذا بفرس قدم الى ذلك المكان فاستبشر بهِ الذئب واعتدّهُ الطعام المرسل لهُ من الله لسدّ جوعهِ. فقال للفرس: وحقّ السماء لن تنجو من يدي ثم همّ بالوثوب على غنيمتهِ لكنّ الفرس سبقهُ وخرّ على قدميهِ قائلًا: انا طعامك ولن ارضى بغير بطنك لي قبرًا ولكن ارجوك قبل ان تتهنأ بأكلي ان تقرأ لي ما كتبهُ ابواي على حافريّ فانهما جعلا وصيّتهما لي عليهما يوم وفاتهما وانت تعلم حرمة وصيّة الوالدين. قال الذئب: امّا هذا فصواب فأرني حافريك. فدار الذئب خلف الفرس ليطّلع على ما كُتب تحت حافريهِ. فرفع الفرس قائمتيهِ وبكل قوّتهِ ضربهما في وجه الذئب فسقط صريعًا ميتًا. وسار الفرس الى صاحبهِ سالمًا

مطبوعات شرقية جديدة

URKUNDENLEHRE von **W. Erben, L. Schmitz-Kallenberg u. O. Redlich**, Erster Teil (HANDBUCH DER MITTELALT. U. NEUEREN GESCHICHTE, herausg. von **G. von Below** u. **F. Meinecke**, Abt. IV). *München u. Berlin, Oldenbourg*. 1907. In-8°, X-370 S.

مصادر تاريخ القرون المتوسطة

لا بُدّ للتاريخ من مصادر ثقة يأخذ عنها فيما يثبتهُ وينفيهِ حتى يقف المطالع على حقيقة الحوادث الغابرة. واذا ما اقتصرنا الآن على تواريخ القرون الوسطى والمتأخرة

وبحثنا عن موادّها ومصادرها فاننا نجدها في سجلاّت وتقارير وصكوك وبراءات وكتابات شتّى عموميّة كانت ام خاصة حُفظت جميعها في خزانات الدول والمكاتب الكبرى. ويتصفحها العالم إما لاثبات هيئة كتابتها وتاريخ وضعها وغير ذلك من الامور الخارجة وإما لامعان النظر في فحواها ومعناها وأهميّتها وفوائدها للتاريخ. وقد جرى العلماء في ابحاثهم هذه بعين يقظى وبصيرة منتبهة ووضعوا لها مبادىء ثابتة وكتباً منقحة. وهم مع ذلك لم يألوا جهدًا في اصلاح ما وقع من الخلل في الاساليب التي عيّنوها للبحث في مصادر التاريخ ولهذا باشر أُسڤلد ردليخ (Oswald Redlich) وف. إربن (W. Erben) بنشر القسم الاول من تأليف جديد في هذا الفن ادرجوهُ في كتاب منهاج تاريخ القرون الوسطى والمتأخرة للعالمين ج. ڤون بيلوف (G. v. Below) وف. مينكه (F. Meinecke) وسيؤدّي هذا المشروع خدمات تذكر لكلّ من يرغب في وضع التواريخ ودرس اصولها. واليك بخلاصة ما جمعت من الفوائد

يُصدَّر الكتاب بذكر تاريخ فن الآثار الدوليّة منذ نشأتهِ حتى ايّامنا وقد اعطى المؤلف كلّا حقّهُ من الثناء. وشكر خاصّةً أبناء القديس مبارك القاطنين في دير القديس مور لاعمالهم المأثورة في هذا العلم. ثم ذكر الذين برعوا في هذا الفن. غير اننا نأخذ عليهِ إضرابهُ عن المؤرخين الافرنسيين واقتصارهُ على الالمان دون غيرهم (1). ويعقب هذه الفاتحة بحثٌ مطوّلٌ في التقارير والصكوك وفي وضعها وترتيبها وتحريرها وقد خُصِّصَ معظم الكتاب بصكوك عواهل وملوك القرون الوسطى في المانية وفرنسة وايطالية وذلك في خمسة فصول انتقد فيها المؤلفان كل ما يتعلق بهذه الكتابات من حيث وضعها وفائدتها ولغتها. فمن ثم يرى القارئ الكريم ان الكتاب العالمين ريدلخ وإربن اتى فمهّد الطريق امام المؤرخين ولهذا نتمنى لهُ رواجاً عند الجميع س. ر

Sésostris Sidarouss: DES PATRIARCATS. LES PATRIARCATS DANS L'EMPIRE OTTOMAN ET SPÉCIALEMENT EN EGYPTE. *Paris, A. Rousseau*, 1907, XVI-535 p., gr. in-8°.

البطريركات لاسيَّا في الممالك المحروسة ومصر

في هذا الكتاب الغث والسمين. فانّ صاحبهُ اودعهُ عدّة افادات في البطريركيّات

(1 Cf. Ch. Langlois, *Manuel de Bibliographie historique*, *Hachette* 1901-1904.

وامتيازاتها واقسامها مع نظر وجيز في اصلها وتاريخها . وكلُّ ذلك ممَّا يستحبُّهُ العلماء وطلبة التاريخ الكنسي فنثني على همة المؤلف ونشاطهِ في جمع هذه المعلومات. ومع اقرارنا بفضلهِ نأخذ عليهِ اشياء كثيرة نذكر بعضها ليستفيد منها في طبعة ثانية. واوَّل نقصٍ وجدناهُ في الكتاب ان صاحبهُ لم يجعل تجاه عينيهِ غاية محدَّدة محصورة بل تراهُ ادخل في تاليفهِ اموراً عديدة لا علاقة لها مع البطريركيَّات او بالاحرى ان يقال انَّهُ جعل كتابهُ كدائرة معارف ضمَّنها من كلّ مبحث نُتفاً فلم يكد يتعمَّق في بحث من الابحاث ولم يكتفِ بالبطريركيَّات الشرقيَّة كما في عنوان كتابهِ بل تخطَّى ايضاً الى البطريركيَّات الغربيَّة الثانويَّة واتَّسع في بعض المسائل الخارجيَّة عن موضوعهِ كنظام الشيع البروتستانيَّة وجماعات اليهود. امَّا ابحاثهُ التاريخيَّة والنظريَّة والطقسيَّة فانَّها ايضاً لا تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً وربَّما وقع فيها السهو والغلط . مثالهُ ما كتبهُ في اصل اسم البطريرك فتوهَّم انَّ بين هذا الاسم واسم الآباء الاولين علاقةً. ومن المعلوم انَّهُ ليس بينها غير علاقة الشبه والمجاز لأنَّ هذا الاسم لم يُعرَف في الكنيسة بالمعنى الخاص الذي يُتَّخذ اليوم لهُ الَّا في القرن الخامس وكذلك لم يُحسن المؤلف وصف خواصّ الرتبة البطريركيَّة الرومانيَّة وبيان تقدُّمها على الكراسي البطريركيَّة فانَّ بحثاً كهذا يستدعي عدَّة شروح. وهو بدلاً من ذلك يذكر البطريركيَّات الشرفيَّة التي لا تهمُّ كثيراً القراء. وذلك استناداً الى دائرة علوم اڤينو التي كسد سوقها اليوم . وألحق ذكر هذه البطريركيَّات بذكر النيابات الرسوليَّة في الشرق وكنَّا في غنى عنها في كتابهِ. ومن اغلاطهِ قولهُ (في الصفحة ٨) انَّ المجمع النيقويّ سنة ٣٢٥ عيَّن حدود البطريركيَّات الاربع حتَّى القسطنطينيَّة وكلٌّ يعرف ان البطريركيَّة القسطنطينيَّة لم تظهر قبل السنة ٣٨٥ وكان ظهورها خفيًّا متستراً. امَّا السنة ٣٢٥ فكانت بوزنطيَّة من اصغر الاسقفيَّات خاضعة لهرقلة — ومما فات المؤلف ذكر اسقفيَّة الهرشك الارثذكسيَّة المستقلَّة منذ سنة ١٨٥٠ — وقد وهم ايضاً بقولهِ انَّ ليتورجيَّة مار يعقوب تُتلى في يوم عيد هذا الرسول في ٢٣ تشرين الاوَّل والصحيح انَّها تُتلى في ٣١ ك ١ — وكذلك كان ينبغي لهُ (في الصفحة ١٥٥) ان يذكر اتحاد الكنيسة البوزنطيَّة مع رومية في المجمع اللاتراني سنة ١٢٧٤ ولا يكتفي بذكر المجمع الفلورنتي — ثمَّ انهُ لم يُصب بقولهِ انَّ بطريرك الاسكندريَّة الارثذكسي لا سينودس لهُ فانَّ لهذا البطريرك سينودساً يتركب من اربعة

رؤساء اساقفة وهم مطارنة الحبشة ومصر ودمياط ورشيد وكلهم يسكنون الاسكندريّة — هذه بعض ملحوظات ولو شئنا لأطلنا فيها كثيرًا . وممّا لا يسعنا السكوت عنهُ اسم « الكنيسة اليونانيّة » الذي يطلقهُ الكاتب على كل الكنائس التابعة للطقوس البوزنطيّة وهو اسمٌ لا يطابق المعنى البتَّة. لانَّ لغة تسعين في المئة من هذه الكنائس ليست هي اللغة اليونانيّة بل لغات أُخرى كالروسيّة والصقلبيّة والرومانيّة والسريّة والعربيّة . وان قيل انَّ طقوس هذه الامم منقولة عن اليونانيّة اجبنا انَّ هذا يعمّ اغلب الشعوب الغربيّة حتَّى الكنيسة الرومانيّة التي في اوَّل عهدها كانت تُقيم رتبها باليونانيّة افيجوز أنْ تدعى الكنيسة الرومانيّة والكنائس الغربيّة لاجل ذلك بكنائس يونانيّة . وعندنا انَّ الاوفق أنْ تُدعى تلك الكنائس باسم آخر اوفق لها أمَّا باسم الكنائس البوزنطيَّة او الكنائس الفوطية نسبة الى فوطيوس وان شئت قل الارثذكسيَّة مع اصحابها لأنَّ اسم الكنيسة اليونانيَّة لا يجوز اطلاقهُ الَّا على كنائس اليونان الواقعة في جزائرهم او على الكنائس التي لغتها الطقسيَّة هي اليونانيَّة — وفي الختام نقول لمؤلف هذا الكتاب انهُ في مقدمتهِ ذكر عدَّة كُتب راجعها ممَّا لا فائدة في ذكرهِ ونسي ذكر تآليف أُخرى مهمَّة كانت افادتهُ كثيرًا لو عرفها كتأليف كاتنبوش (Kattenbusch) وجديون (Gédeon) وهاكت (Hackett)

ا. فرتسكيو

Die altarabischen Frauennamen. Von Dr Emil Gratzl. *Leipzig*, W. *Drugulin*, 1906, pp. 84.

أعلام النساء عند قدماء العرب

في درس الأعلام القديمة فوائد جمَّة سواءٌ كان لتاريخ الامم او للوقوف على العادات السالفة ذلك فضلًا عن تركيب هذه الاسماء لغويًا . ومن التآليف الحديثة في ذلك سفرٌ بديع وضعهُ احد علماء مونيخ حاضرة باڤارية الدكتور غراتسل في اعلام النساء عند قدماء العرب فجمع منها نحو ٧٠٠ عَلَم وجدها في كتب التاريخ والادب والآثار الحجريّة وغيرها . وقد رتَّبها ترتيبًا جميلًا على حسب اوزانها كفَعْلة مثل عَبْلة وسَلْمة وفَعِيلة كجديلة وجليلة وفَاعلة كفاطمة وفارعة وفَعْلاء كخنساء وحوَّاء الى غير ذلك من الاوزان التي بعضها مأنوسة شهيرة وبعضها غريبة نادرة كتُفاعِل مثل تُماضِر وفُعالِلة كقُرافصة . ومنها ايضًا اعجميَّة كدَخْتنوس . وللمؤلف في كل ذلك ملحوظات دقيقة

لغويَّة ونظريَّة وربَّما عارض بين هذه الاسماء وما شاكلها في اللغات الساميَّة كالحبشيَّة والعبرانيَّة والسريانيَّة. وقد ختم الكتاب بفهرس هذه الأعلام والاشارة الى صفحات الكتب التي وردت فيها. فناهيك بهذا الوصف الوجيز لتعرف ما لذلك الكتاب من الخطر وعظم الشان فنحضُّ كل محبّي الابحاث الشرقيَّة على اقتنائهِ ل. ش.

Carte de la Province du Liban, par le major R. Huber ex-ingénieur en chef du Liban.

خارطة جبل لبنان

تمتاز هذه الخارطة عن الخوارط السابقة اوَّلًا بكبرها فانَّها اكبر ممَّا تقدمها ومقياسها ١٠٠,٠٠٠/١ ثمَّ فيها ايضًا دلائل الى تقسيمات الجبل الاداريَّة والى طرق العربات والسكك الحديدية. وكذلك قد دُوّنت فيها اعداد تدلُّ على ارتفاع عدَّة امكنة لكنَّها أُخذت بقياس البارومتر فدلالتها على التقريب فقط. وجاء في حاشية الحقها المؤلف بخارطتهِ انَّ حدود متصرفيَّة لبنان شمالًا لم تُحدَّد وعلى كل حال ليست قرية «منية» في حكم الجبل كما ترى في هذه الخارطة. ومن متميزات هذا العمل ايضًا انَّ المسيو هوبر كتب أعلام الامكنة بالفرنسويَّة والعربيَّة لكنَّهُ سها في ضبط بعضها كبستان الغصا يريد «الفصًا» ومفوق يريد «ميفوق» والحصون يريد «الحصن» وباربار يريد «البارباره» وبغدران يريد «بعذران» وراس قسطا يريد «راس اسطا». لكن هذا الخلل يسهل اصلاحهُ في طبعة ثانية نتمنَّى صدورها قريبًا لتكون في ايدي العموم خارطةً تامَّة لا ينقصها شيءٌ من اسباب الكمال ه. ل.

شذرات

﴿ فعل الخمر في الميكروبات ﴾ اختبر بعض العلماء مفعول الخمر في الميكروبات فكان المسيو الويس پيك (Aloïs Pick) امتحن ذلك في ميكروبات التيفوس فتحقَّق ان الخمر الجيِّدة تقتل هذا الميكروب الوبيَّ بنصف ساعة ثم عاد العالمان سبرازيس (Sabrazès) ومركنديه (Marcandier) وجدَّدا هذه الاختبارات في كل انواع الخمر من احمر او ابيض عتيق او حديث سواءٌ كان في الشتاء او الصيف فكانت نتيجة ابحاثهم ان الخمور كلّها وخصوصًا الخمر البيضاء قاتلة للميكروبات التيفوسيَّة وقد

أتخذوا جدولًا لكل ضروب الخمر مع بيان قوة مفعولها وزمن فعلها . واذا كانت الخمر في درجة راقية من الحرارة زاد مفعولها . امَّا الفاعل في هذه الخمور فهو على ما يظهر الحوامض التي تتضمنها كالحامض الكبريتيك والحامض الكلوريدريك والحامض الازوتيك والحامض الخلّي وكلها قتَّالة الميكروب . ومن ثمَّ يحسن بالذين ينتقلون من بلدة الى بلدة اذا جهلوا مياهها ان لا يشربوا الّا خمرًا او يمزجوا الماء بالخمر بضع ساعات الى ان يُتلف ما في الماء من الميكروبات . وهذه الخمور لا تفعل فعلها الّا بشرط ان تكون خالصة من التزويرات

﴿ تاريخ تمثال ابي الهول ﴾ ابو الهول من اعظم آثار مصر يقضي منهُ العجب كلّ السيّاح كما يستعظمون الاهرام . لكنَّ العلماء لم يتَّفقوا حتَّى اليوم على تاريخ هذا التمثال العجيب فمنهم من كان يجعلهُ من اقدم الآثار المصريَّة وانهُ سبق عهد الاهرام ولا يبعد انهُ من زمن السلالة الثالثة . وقد ناصب غيرهم هذا الرأي فجعلوا الاهرام من اعمال السلالة الثامنة عشرة وقال غيرهم غير ذلك وكان كلّ فريق يأتي بادلَّة لاثبات رأيهِ . وقد كتب مؤخَّرًا العلَّامة دارسي (G. Daressy) في نشرة المكتب المصري فصلًا في ذلك رجَّح فيهِ ابتناء هذا التمثال في عهد السلالة السادسة والملوك الرعاة وقد أيد رأيهُ بشرح الكتابات التي على التمثال وكان درس اكثرها بفعل الزمان فصعب على الاثريين تفسيرها . امَّا بانيهِ فهو يظنهُ اوسورتسن الثالث او بالحري امنحات الثالث

﴿ دواة الامام الغزَّالي ﴾ قد حصل المتحف العربيّ المصري آخرًا على أثر نفيس وهو دواة الامام الغزَّالي . ومن خواصها أنها مزيَّنة بكتابة من عمل الجوهر الراقية الى عهد صاحبها في القرن الثاني عشر وهي اقدم أثر يُعرف من هذا الجنس وهذه صورة الكتابة :

لخزانة مولانا الربَّاني الاعظم مفتي الفرق لسان الحقّ علَّامة العالم سلطان العلماء عمدة الانام كنز الحقائق افضل المتأخرين محيي الدين . . . حجَّة الاسلام محمَّد الغزَّالي

أسئلة وأجوبة

س سألنا مستفيد ما المقصود بالانوار التي توقد في لبنان مساء بيرامون عيد القديس يوحنَّا المعمدان
الانوار الموقدة في بيرامون عيد القديس يوحنَّا المعمدان

ج هذه عادة قديمة ألفها المسيحيُّون منذ القرون النصرانيَّة الاولى ليس فقط في

لبنان لكن في انحاء الشرق والغرب. ويقال انَّ اصل هذه الانوار يرتقي الى عادة جرى عليها الوثنيون سابقاً في ذلك اليوم لوقوع انقلاب الشمس الصيفي فيهِ. فلمَّا انتشرت النصرانيَّة ابدل احبارها تلك النيران بنيران أُخرى لاكرام القديس يوحنا المعمدان الموافق عيدهُ لتلك الظاهرة السنويَّة. وقد وجدت الكنيسة داعياً آخر تقويًا لتسمح بهذه الانوار وذلك في اقوال الانجيل الطاهر عن يوحنَّا المعمدان. منها قول زكريا فيهِ في تسبحتهِ (لوقا ١: ٧٢ — ٨٠) انهُ سيسبق امام وجه الرب . . . ليضيء للجالسين في الظلمة وظلال الموت. وكذلك قول السيد المسيح عن السابق (يوحنا ٥: ٣٥) انهُ كان «السراج الموقد المنير» فنيران القديس يوحنَّا تشير الى هذه الآيات. وهي ايضاً رمز الى الافراح التي ذكرها الملك جبرائيل حيث قال (لوقا ١: ١٤): «ويفرح كثيرون بمولدهِ»

س وسأل حضرة القس انطون صابر الرشماوي: ١ً لماذا لم يذكر الكتاب المقدَّس في سفر التكوين خلقة الملائكة وسقوط الشياطين الى جهنم. ٢ً من دوَّن اوَّل الجميع خلقتهم وسقوطهم خلقة الملائكة وهبوط الشياطين الى الجحيم

ج نجيب على (الاول والثاني) انَّ موسى في سفر التكوين لم يذكر خلقة الملائكة وسقوطهم لانَّ غايتهُ انَّما كانت ان يصف تكوين العالم المنظور فاشار فقط بكلمة واحدة الى بقيَّة المخلوقات بقولهِ انَّ الله في البدء خلق «السماوات» فيجوز انهُ اراد بالسماوات الارواح السماويَّة او سكان السماء. ثم صرَّح مرارًا بخلقتهم في اثناء الكتاب لمَّا روى شيئاً من اعمالهم في اخبار ابراهيم الخليل ويعقوب. كما تعدَّد ذكرهم بعد ذلك في كل الاسفار المقدَّسة. امَّا سقوط بعض الملائكة من السماء الى الجحيم لاجل خطيئتهم فآيات العهد القديم في ذلك مبهمة غير مقنعة وهي في العهد الجديد صريحة كقول الرب (يوحنا ٨: ٤٤): «انَّ ابليس . . . لم يثبت في الحق» وكقولهِ في لوقا (١٠: ١٨): «رأيت الشيطان ساقطاً من السماء كالبرق» وكذلك في رسالة بطرس الثانية (٢: ٤): «انَّ الله لم يُشفق على الملائكة الذين خطئوا بل أُهبطوا الى اسافل الجحيم» وفي رسالة يهوذا (ع ٦) «والملائكة الذين لم يحفظوا رئاستهم بل تركوا منزلتهم ابقاهم لقضاء اليوم العظيم في قيود ابديَّة تحت الظلمة». وفي رؤيا مار يوحنَّا (ف ١٢: ٧ — ٧ — ١٠) رواية الحرب التي انتشبت بين ميكائيل وملائكتهِ وبين الابالسة فانتهت بهبوطهم الى دركات الجحيم ل. ش.